

وقفات

مع شعراء البطافة

الجزء الأول

عن عبد الرحيم كبّوش .. عبد القادر عوض الكريم الحسن



٢
الإصدار

١٠ سَنَةِ حَيَاتِهِ الْخَطِيرِ

عبد الرحمن

عبد الرحمن كَبُوش

١٩/١٤/٥٧

وقفات

مع شعراء البطانة

الجزء الأول

عمر عبد الرحيم كبوش .. عبد القادر عوض الكريم الحسن

١٩٨٩م



الطابعون: دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر

اهداء

الى هذا الشعب البطل الذى علمنا معنى
الوفاء والصمود

| | |
|------------------------------|--------|
| UNIVERSITY OF WARTON LIBRARY | |
| LOCATION | sud- |
| ACC No. | 286217 |
| CLASS MARK | 8LWG |

811, 09

عمر

تمهيد

بدأنا هذه الدراسة بجهد مكثف ورحلات ميدانية عديدة بعضها ممتع وبعضها تكتفه بعض الصعاب.

لقد جينا العديد من مناطق سهل البطانة الواسع حيث التقينا بالكثير من شعراء البطانة وكتبنا عنهم مئات القصائد في شتى ضروب الحياة وأثبتنا لبعضهم الكثير من الشعر الرائع ولم يكن مصير الآخرين الإهمال إلا أن الموضوعات تتشابه وعليه فقد أوردنا ما أوردنا كنماذج فقط وإن كنا قد استخدمنا طريقة تقليدية لإبراز موضوعات هذه الدراسة.

كان بؤدنا أن تخرج موضوعات هذه الدراسة متكاملة دون تجزئة ولكن نسبة لكثرة الموضوعات التي تحتوى عليها مادتها ولظروف خارجة عن إرادتنا اضطررنا إلى تقسيم هذه المادة إلى جزئين.

تحتوى مادة الجزء الأول والتي هى بين أيديكم على مدخل بسيط درسنا فيه بعض جوانب الحياة فى أرض البطانة، حيث تعرضنا لبعض العادات والتقاليد البارزة لقبائل سهل البطانة ثم تناولنا بعد ذلك الكثير من طبيعة أرض البطانة من خلال شعر شعرائها وأوردنا لبعضهم الكثير من الأشعار ولم نورد للبعض الآخر بالرغم من أنهم قد وصفوا الطبيعة وصفاً رائعاً. بعد ذلك ولجنا باب الأبل وتحدثنا بأسهاب عن سرقتها وعن المهاجرة «الهنباته» ودوافع السرقة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وأوردنا الكثير من شعر هؤلاء المهاجرة وأخيراً درسنا بأسهاب شاعرة المرغماى شغبه وأثبتنا لها الجيد من الشعر فى مختلف الأغراض اعتقاداً منا بأنها أهم الشواعر السودانيات فى تاريخنا القديم والحديث. أما الجزء الثانى والذى يشمل بقية الدراسة والذى نأمل أن يكون فى متناول أيديكم فى الأيام القريبة العاجلة يحتوى على الأغراض الشعرية الآتية:

الفخر، المدح، الهجاء، المناحة، وشعر الغزل بمختلف أغراضه.

نحن لا ندعى الكمال لهذا العمل ولكننا نأمل كل الأمل أن يعقبنا آخرون لمواصلة الجهد الذى بذلناه وسد الثغرات التى لم نوفق فى تغطيتها

فالمرء قليل بنفسه كثير بأخوانه عاجز بنفسه قدير بهم عذرنا في ذلك أن أرض البطانة واسعة الأرجاء فمن الصعب الطواف على جميع أجزائها لمعرفة كل شعرائها هذا بالإضافة إلى شح المراجع وقلة الامكانيات خاصة أننا نعمل بالوظائف الدبلوماسية ولاشك أن مثل هذا العمل يحتاج إلى فراغ يمكن من جمعه وتمحيصه وعرضه.

لقد قام أستاذنا الكبير عبد القادر شيخ ادريس أبوهالة بجهد مقدر للتقديم لهذه الطبعة وقد أشتمل تقديمه على جزئي الدراسة مما أثار في أنفسنا الحماس الدافق لبذل جهد أكبر لإصدار الجزء الثاني الذي نثق في أنه سيكمل هذه الدراسة. ويجعل فائدتها أكبر وأشمل للقارئ الكريم... فله منا كل الثناء وكل التقدير.

المؤلفان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم:

الاستاذ عبد القادر شيخ ادريس (ابو هالة)

أطلعنى المؤلفان على مخطوطة كتابهما «وقفات مع شعراء البطانة» فأسمت طرفى فى حديقة غناء، ذات أفواف متنوعة وأنسام مضوعة، غصونها مايسة، وطيورها صادحة، منسقة الزهور، فواحة العطور، فيها من طيوب البوادرى العرار والخزامى ومن عطور الحواضر فواغى الطيب وشذى العذارى وعاشت أرض البطانة كما رسمها فى هذه اللوحات الفنية الحية الشاعرود الشلهمة حيث قال:

بَرَقَ قَلْعُ السَّارِيَةِ أَمْ سَحَاباً صَاحُ
وَتَعَالِكَ كَتَمٌ مِنَ الْهَوَى اللَّحَّاحُ
رَعْدُكَ رَزَّ فِي الْمَطَرِ التَّقِيلِ وَقَاحُ
وَبَارِدِكَ لَأَقَى شَمَشَ الْغَيْبِ بَاكَرْزَاخُ



أَسَمَّحَتْ مِنْ صَيْفَةٍ خَلَا وَقَهْبُونُهُ
وَأَنْفَشَتْ سَحَابَتِكَ فُوقَكَ الْمَشْخُونُهُ
أَصْبَحَتْ الْمَوَاطِي وَالضُّهُورُ مَطْيُونُهُ
وَأَتَكَسَّيْتَ بِي تِيَاباً مُنَوَّعَ لُونُهُ



فِيكَ لَوْنُ الصَّفَارَى كَالْبَرَصِ مَجْلِيَّةُ
الْلَبَلَبِ حَمَرْتُو تَقُولُ عُيُونُ قَمَرِيَّةُ
التَّبَرِ انْفَرَشَ عَرْقُو وَفَرَشَ شَمَشِيَّةُ
يَضْرِبُ فِي شَعَاعِ شَمَشِ الصَّبَاحِ النَّيَّةُ



اسْمَحْتِ مِنْ صَيْفِهِ وَسَمُومًا قَالِيهِ
وَاتَّلَاقْتَ سَوَارِيكَ بِالصَّبِيبِ مَثْوَالِيهِ
فَكَيْتِ الدَّعَا شَاتُ وَالنِّسَائِمُ الْحَالِيهِ
عَرَبِكَ خَتَّتْ بِي نَيْبُ وَالضُّهُورُ الْعَالِيهِ



اَتَكْسَيْتِ بِي لُونًا لَبَسْتَ جَدِيدُ
وَتَصْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ نَائِرُهُ وَحَلَاتُهُ تَزِيدُ
تَعَالِكَ نَزْلُ سَاوَى الضُّهُورُ وَاللَّيْدُ
وَاجَادَعُ فَرِيْقَكَ فِي نَزْلَتُو بَعِيدُ



نَارُ وَجْهِكَ خَلَاَصُ وَأَصْبَحُ عَرِيْسُكَ بَاشُ
وُسَيْلِكَ لِي عَلَاوِيكَ وَبِالْمَرَاتِعِ كَاشُ
نَفْسُكَ مِنْ سَمُومٍ تَحَلَّى جَابِلُو دَعَاشُ
وَعَرَبُكَ لِي جَفَافُنْ جَبْدُو الْبَرَاشُ

وفي رؤيتي أن المؤلفين بذلا جهداً مشكوراً وقدموا عملاً مقدوراً فيه دقة التوثيق وعناية التحقيق، ولا غرابة فهما نبت البطانة درجا على أرضها الدحوة وأظلتها سماؤها الصحوه.

لقد قاما بمسح دراسي على مواقع البطانة المخصبة والمحلة والتقىا بشعرائها على الطبيعة في الحل والظعن وحاولا أن يستبطننا هذا العمل التراثي الشعبي العظيم حيث تلقياه من أفواه الشعراء وذاكرة الرواة وممن لم يستطع غيرهما أن يلتقي بهن من قواعد النساء.

وقد قسما الكتاب تقسيماً فنياً، الوصف والغزل والهنبتة «الصعلكة» والمدح والرثاء وركزا على بعض الشعراء الذين لم تنل أعمالهم الفنية دراسة موضوعية وتركوا أولئك الذين حظيت أعمالهم بالعرض والتحليل، فتعرفت اليهم حفنة من القراء والدارسين، حرصاً منهما على ان يقدمنا التليد الطريف، وقد وفقا مع ضيق الامكانات والمعينات ورغم المعوقات والمثبطات، فهما يعملان بالوظائف الديوانية، ومثل هذا العمل الذي قاما به يحتاج الى فراغ يمكن من جمعه وتمحيصه وعرضه ولوجودا عوناً من الجهات المعنية بمثل هذا اللون من التراث الفني الشعبي ليزاد ثراؤه وفاض عطاؤه.

وقفات مع المدخل:

حقاً كان المدخل فاتحة للتعرف على مواقع أهل البطانة القاطنين والظاعنين في «الدمر» و «النشوق» وعلى قبائلها المتعددة، وحياتهم المعيشية والاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم في الأفراح والأتراح وعلاقاتهم الاجتماعية، وهذه العادات الحياتية والتقاليد الاجتماعية فيها كثير من سمات وعادات وتقالييد عرب الجزيرة العربية الذين انحدروا منهم وبخاصة أهل الوبر فيهم فمثلاً قولهم في البكاء على الميت وهم يخاطبون الشجر «انت مخضر وفلان متحدر» يذكرني بقول ليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد وهي تخاطب شجر الخابور قائلة:

أيا شجر الخابور مالك موقراً * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال إلا من قنا وسيوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بحليف
وكذلك عادة عدم البكاء على النساء يذكرني بقول البحتري وهو مخضرم الحاضرة والبادية ولكن كانت تلاحقه رواسب بدوية فنسمعه يقول وهو يعزى أبا نهشل الطوسي عن ابنته:

أتبكي من لا ينازل بالسيف * مشيحاً ولا يهز اللواء!!
ولعمري ما العجز عندي إلا * أن تبیت الرجال تبكي النساء!!
وهناك وقفات تطول وتقصّر مع الهبات ولقياهم مع شعراء العرب الصعاليك في كثير من الأساليب وبخاصة عروة بن الورد أو عروة الصعاليك الذي تمنى أحد الأمراء أن يكون أباه لما تحلى به من الكرم والاشتراكية العملية والنخوة العربية الأصيلة فقد كان يأوى الفقراء في أوقات المحل والمسغبة فيطعمهم ويسقيهم ونسمعه يفخر ويعتز بهذا الكرم الفياض.

إنى أمرو عافى نائى شركة
وأنت امرؤ عافى إنائك واحد

وهناك وقفات تطول وتقصّر مع حفيد أشياخ الشكرية الشاعر الفحل صاحب المطولات أحمد عوض الكريم ود حمد في رحلته مع الأطباء ويعجبني حبه لها ودعواته لها بالنجاة من القناص و «الدوار» فهي منهم في حماية شيخ الطريقة والاولياء النادرين.

من صَدَفَ الْبُقْنُصُوا وَحَايَمَةُ الدَّوَارِ
حَوْ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ وَالْأُولِيَا النُّدَّارِ

ولقد هام الشاعر أحمد ود عوض الكريم في كثير من أودية الشعر وله فيها القدر المثل ولتقف عند هذه الصورة التي رسمها للجمال العربي الأصيل:

يَأْتُوْمِي اللَّبِيْتُ لِلْعَيْنِ تَعُوذُ وَتَمِيلُ
عَسْفَكَ مِنِّي مُزْنَاعاً ظَرِيفٌ وَجُمَيْلُ
قَامْتُو رَبِيعَهُ حَذُّو أَسِيلُ وَطَرَفُو كَحِيلُ
يَمُوجُ مُتَاكِي مِنْ أَرْدَافُو يَمْشِي وَحِيلُ

ويذكرني عجز البيت الأخير بقول الشاعر الشعبي الغنائي:

من كفيلك تتوحي حنانه ريدك ما بنمحي

وكلا الشاعرين يؤشران من بعد لقول الشاعر العربي القديم:

ودع هريرة أن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهويننا كما يمشي الوجى الوحل
وأذكرني قول الشاعر في غزله وهو يناجي ابن عمه «عمار»:

يَا عُمَارَهُ الْعَفِيفَهُ أَلْ لِلدُّنَاةِ مِى هَذِيهِ
خَلَّتْ قَلْبِي كَالسَّجَاعِ بِيَعْمَلْ شَذِيهِ

أذكرني قول استاذنا العقاد في قصيدته العصماء «ليلة الوداع»:

كان فؤادي طائر عاد إلفه
إليه فأمسي آخر الليل شادياً

وفي غزل الشاعر مشابهة كثيرة كأغلب شعرائنا الشعبيين في الصور والتشبيه لشعرنا القومي الفصيح يمكن أن يكون مدخلاً للدراسة المقارنة وكذلك في وصف الصحراء وما فيها من جامد وحى وصامت وناطق وذلك لتقارب البيئة الطبيعية والمعيشية.

ووقفت مع الشاعر ود عوض وهو يفضل فتيات البادية على عذارى الحاضرة وأن الحاضرة بحسنها المجلوب لا يمكن أن تنسيه البادية وحسنها المطبوع:

مَا بُشِيقُنِي الْقَضَارُفُ وَبُنْدُرُو أَبْ تَكَالُ
مَا بُتْسِيْنِي أُنْسُ الشَّابِلِ الْمُتَقَالُ

أذكرنى قول أبى الطيب فى نفس المعنى حيث يقول:

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الحديث ولا صبغ الحواجيب
اين المعيز من الأرام ناظرة
وغير ناظرة فى الحسن والطيب

أما المدح فى تراثنا الشعبى فهو صورة من المدح العربى الشجاعة والكرم والنجدة والغيرة وغيرها من مكارم الفضائل وعظيم الشمائل وكذلك الفخر بالعبودية والذود عنها وكذلك الرثاء فهو ذكر لحاسن الفقيد وإنى أذكر قول أحمد ود أبشريعة يرثى بشير ود كمال من رجالات قبيلة الشايقية العدناب حيث يقول:

حَلِيلُو فَرَجِ الْهَمِّ
أَبُّ طَبْعاً عَفِيفٌ حَاشَاهُ مَا يَنْضَمُّ
وَكَتَّ الشَّوْفُ يَشُوفُ نَحَاسُو بَتَرَزَمُ
فَرْتَأَى أَمْ لَبُوسُ سَقَائٍ عَقِيدُنْ سَمُ

والذى يحمد للمؤلفين توثيق الكتابة عن شغبه أميرة شعراء البطانة كما لقبها حيث أعتمد على مصادر حية مشافهة من بعض افراد قبيلة الكمالاب والمرغوماب وكانت الشاعرة مسعرة حرب فقد أشعلت نارها كأنها حرب البسوس أو يوم حليلة ليس بسر.

هذه وقفات سريعة رमित من خلفياتها الى مؤشرات توضح بعض جوانب البحث وتدفع إلى متابعته ولا يفوتنى أن أجزل الثناء على هذين المؤلفين فقد أضافا جديداً الى المكتبة الشعبية السودانية التى ما تزال ترغب من الدارسين البحث والتحقيق حفظاً للتراث وإيماناً بجدواه فهو ركيزة من ركائز الوطنية الأصيلة تقوم عليها أصالة الشعب الفنية وهذا ما فطن إليه كثير من الشعوب، فأقامت لدراسة أدابها الشعبية مكانة فى مناهج جامعاتها وأصبح من المواد المنهجية ومن منطلقات الدراسات الفنية العليا وأدبنا الشعبى يمتاز بقربه من أدبنا القومى صوراً وأسلوباً ولغة فى كثير من فنونه ولا شك أن المؤلفين أسهما فى عرضه وتحليله وأول الغيث قطرة ثم ينهمر.

عبد القادر شيخ ادريس «ابوهالة»

مدخل سكان سهل البطانة

قبائل سهل البطانة كثيرة ومتعددة ولعل أكبر تلك القبائل هي قبيلة الشكرية، وتتفرع هذه القبيلة إلى عدة فروع أهمها:-
السناب، النوراب، العيشاب، المهيدات، البلعاب، العكياب، وجوار هذه القبيلة الكبيرة نجد بعض القبائل الأخرى التي تشابهها في التقاليد والعادات بشكل كبير، ولكنها لا تنتسب إليها وهذه القبائل هي:
الخوالده، اللحويين، الكواهله، الأحامدة، الضباينة.
ينتسب الشكرية إلى سلالة سيدنا جعفر بن أبى طالب . وأهم مراكز هذه القبيلة ومناطق تجمعاتها:- القصارف وحلفا الجديدة ورفاعه ويوجدون بأعداد كبيرة في الجزء الأوسط من سهل البطانة.
لقد ساعدت المشاريع الزراعية الكبيرة مثل القصارف وحلفا الجديدة على إستقرار عدد كبير منهم، حيث تركوا حياة الرعى والتجوال من مكان لآخر بحثاً عن الكلأ والماء لهم ولماشيتهم، إلا أن البعض منهم ما زال يرفض حياة الإستقرار ويفضل الانطلاق في سهل البطانة الواسع مع إبلهم وبقية مواشيهم.

البطاحين:-

ينتسب البطاحين إلى سيدنا العباس بن عبد المطلب، ويوجدون بكثرة في الجزء الغربى من سهل البطانة، وخاصة في منطقة (أبى دليق) شرق مدينة الخرطوم . وتشاركهم في نفس المنطقة قبائل الدليقاب والمهلاب والحسانية والأحامده، وكذلك نجد قبيلة النافعاب والتي هي فرع من فروع قبيلة الجعليين وأهم فروع قبيلة البطاحين:-
العسافاب، العركشاب، العلاماب، الصاحباب، الديفالاب، الهديباب، الشرحاب، العوضاب، الفرجاب، العبادله، والبثوقاب.

الكمالاب والمرغماپ:-

نجدهم في الجزء الشمالى من سهل البطانة وعلى ضفاف نهر عطبرة وهناك تشابه ملموس في عادات وتقاليد هاتين القبيلتين، وترابط وثيق بينهما منذ أزمان بعيدة، وهم ينتسبون الى قبيلة الكواهله التي تنتسب بدورها إلى ذرية سيدنا الزبير بن العوام إلا أننا وجدنا بعض الاختلافات في نسب قبيلة الكمالاب، فإن بعض شيوخها ينفون إنتسابهم إلى قبيلة الكواهله

ويقولون أنهم من ذرية سيدنا الحسين بن علي ولهم وثائق أنساب تثبت صحة قولهم، ولكن من الملاحظ أن هاتين القبيلتين فصيلتان متمتان لبعضهما وتربطهما صلات رحم وثيقة.

تنقسم قبيلة الكمالات إلى عدة بطون صغيرة، تكاد لترابطها لا تظهر سماتها منفردة وأهم هذه البطون هي: النقياب، الشبوياب، الهدباب، الجهماب والبسبراب. أما قبيلة المرغاب فتتقسم بدورها إلى بطون عدة هي:-

الناصحاب، الزماماب، العامراب، الناهياب، البيشاب. وما زال أفراد هاتين القبيلتين يعيشون حياة بدو خالصة إلا أن بعض فروع قبيلة الكمالات قد هاجرت وأستوطنت بعض المدن وبدأت تهضم ظواهر المدنية والتقدم، ولعل أوضح مثال لذلك فرع البسبراب والذي يقطن بعض أفرادها الآن قرية «ود النور» على بعد خمسة أميال جنوب مدينة ود مدني، فقد أكد لنا زعيم هذا الفرع موسى ود على حقيقة إنتمائهم إلى قبيلة الكمالات، وقد هاجروا إلى مقرهم هذا منذ فترة طويلة يصعب علينا تحديدها. كما أن هناك رواية تقول أن قبيلة الشنابلة القاطنة أرض الجزيرة ينتسب أفرادها إلى قبيلة الكمالات أيضا إذ تحكى هذه الرواية أن الجد الأكبر لقبيلة الشنابلة والمسمى «شنبول» قد هاجر منفردًا إلى أرض الجزيرة، وهناك أستطاع أن يتزوج إحدى بنات السلاطين بعد أن دفع مهرها ثلاث «مرحات» من الأبل. قام بنهبها من قبيلته بأرض البطانة والتي طارده ولحقته به، ولكن عندما أوضح لها أسباب ودوافع نهبه لهذه الأبل، تنازلت القبيلة عن حقها إكراما لأبنها .. هذه هي الرواية كما سمعناها من بعض شيوخ قبيلة الكمالات فلا نجزم بصحتها أو بطلانها. كما أن هناك بعض العائلات التي أستوطنت المدن الكبيرة تنتسب أيضا لقبيلة الكمالات نذكر منها على سبيل المثال عائلة الحجاز بامدرمان وعائلة ود جار النبي بجبل أولياء.

هناك قبائل أخرى أستوطنت أرض البطانة فأصبحت من قبائلها رغم أنها تاريخيا تنتمي إلى مناطق أخرى وإنها حديثة عهد بسهل البطانة إذا ما قورنت بالقبائل أنفة الذكر وهي: المناصير، الفادنية، والرشايدة.

سمات حياتهم المعيشية:-

يلعب الرعى الدور الاساسي والهام في حياة القبائل التي تعيش في سهل البطانة ولعل اهم حيواناتهم التي يرعونها ويعتمدون عليها اعتمادا كبيرا هي الابل وتليها البقر والضأن.

ولأن كثيرا من مناطق سهل البطانة ما زالت تعتمد اعتمادا كليا على ظروف الطبيعة فإن فصل الخريف يعتبر من احسن واهم فصول السنة بالنسبة لهذه القبائل، حيث يتوفر الماء والعشب لحيواناتهم ويزرعون بعض الوديان الخصبة.

في بداية فصل الخريف تبدأ هذه القبائل «النشوق» من اماكن «الدمر» وهى الاماكن التى يقضون بها فصول الجفاف داخل السهل وبالقرب من موارد المياه من حفائر وآبار ولكل قبيلة اماكن «دمرها» ومصيفها التى تقضى بها فصول الجفاف وايضا لها اماكنها الخاصة لقضاء فصل الخريف والذى يبدأ غالبا فى اوائل شهر يوليو ويستمر حتى اواخر سبتمبر.

ويمكن لنا حصر «دمرهم» ومصيفهم فى مناطق معينة وهى ضفاف نهر عطبرة او آبار المياه واهم هذه الابار تقع فى منطقة ام شديده، فى الجزء الشمالى من سهل البطانة وآبار الصباغ والهشيب فى الجزء الاوسط، وابى دليق بالجزء الغربى من هذا السهل . وكذلك آبار ام حطب فى الجانب الشمالى الغربى، بالاضافة الى آبار اخرى عديدة ومتفرقة بعضها قديم وبعضها حفر حديثا.

يعتبر فصل الخريف من اشق فصول السنة، بالنسبة للرجل حيث يقوم بزراعة الذرة فى الوديان وتقوم النساء والاطفال بالاعمال المنزلية، وليس للنساء كثير من الاعمال الانتاجية فى فصل الخريف وانما يعملن فى استخراج الزبدة من اللبن بوسائل بدائية غير متطورة ويشرفن على الحيوانات فى بعض الأحيان.

واهم الوديان الزراعية فى أرض البطانة:- القيقى، والعطشان، والرويان وهى من أرض الشكرية والباساى والعشير وأم حويه وهسليت وتلك من أراضي الكمالاب والمرغما، بالإضافة إلى وادى الهواد الكبير والذى تشترك فى زراعته قبائل كثيرة ومتعددة من بطاحين ودليقاب وكميلا ب وجعليين، وتحصد من هذه الوديان محاصيل وفيرة فى السنوات التى تكون فيها الامطار غزيرة ومما تجدر الاشارة اليه ان الزراعة كانت وما زالت بدائية للدرجة القصوى، ولا تستعمل فيها آلات ميكانيكية وانما يستعملون «السلوكة» للزراعة و (الملود) لنظافتها من الحشائش الضارة والمنجل لحصاها.

بعد نهاية فصل الخريف تعود هذه القبائل الى اماكن «دمرها» السابقة حيث شهور الجفاف بها . وتنحصر نشاطاتهم فى اعمال بسيطة لا تتعدى بذل الجهد فى توفير الماء للحيوان، والانسان والتسويق لحيواناتهم فى

الاسواق القريبة منهم مثل الدامر والقضارف وتمبول ورفاعة وحلفا الجديدة وعندما يبيعون الابل والضأن فانهم يشترون بجزء من اثمانها ما يحتاجون اليه من مأكـل وملبس. وتعتبر «عصيدة» الذرة من اهم المواد الغذائية عندهم بالإضافة الى اللبن والذي يكون متوفراً في فصل الخريف ويستفيدون من أصواف حيواناتهم وخاصة الجمال والماعز في صناعة خيامهم وأعطيتهم. اما ملابسهم المميزة فهي الثوب والعراقى والسروال الطويل والعمامة بدون طاقية غالباً.

اوقات فراغهم:-

يجد الدارس تشابهاً كبيراً بين حياة سكان سهل البطانة وحياة أجدادهم العرب في الجزيرة العربية قديماً، فهم مثلاً يجلسون في حلقات يتبادلون الشعر بأنواعه المختلفة والشاعر بينهم في مكانة سامية إذ يجلسونه ويرفعون من مكانته ولكل قبيلة شعراؤها الذين تعزى بهم لأنهم يرفعون شأنها ويدافعون عنها بالأسنة حداد فلا يستطيع أحد التعرض لها أو النيل منها.

أكثر الأشعار عندهم ما قيل في الغزل ويندر أن يتغزل الشاعر البطانى في فتاة معروفة النسب والقبيلة لأن تقاليدهم تمنع ذلك منعاً باتاً . فهم يعتبرون التغزل في بنات القبائل إشناء لسمعتهم وسمعة قبائلهن، الا أنهم يجدون مجالاً رحباً للتغزل في الجوارى، فهن كثيرات تكتظ بهن أرض البطانة، ولقد لعبن دوراً كبيراً في إلهام الشعراء أعذب أشعار الغزل.

يجلس الشبان في منزل الجارية ينظمون الشعر في محاسنها ويتغزلون فيها ويصفون جمالها وصفاتها المحبوبة في حين تقوم الجارية بعمل «الجنة» للجالسين، وفي مجال «الجنة» هذه، تستطيع الفتاة الجميلة أن تكسب الكثير إذ تنهال عليها الأوراق النقدية من جميع الجالسين . فإذا قام أحدهم بمنح الجارية مبلغاً من المال فلا بد لكل من في مجلسها أن يدفع أكثر منه أو على الأقل مثله وقد تظفر بكثير من المال إذا اجتمع في مجلسها غريمان يكتوى كلاهما بحبها أو يكونان من قبيلتين مختلفتين بينهما عداوة فكل واحد منهما يريد أن يحوز على اعجابها، أو يريد أن يخرج الآخر فيدفع أكبر قدر من المال، فيضطر الآخر لمجاراته فيدفع أكثر منه، وهكذا حتى يفلس أحدهما فينسحب من مجلسها بلا عودة.

وإن كانت «الجنة» وباء على البطانيين حيث ينفقون أموالاً طائلة في مجلسها فقد دخلت قبل وقت قصير الخمور التي بدأت تجلبها الجوارى من المدن القريبة ويبعنها في كميات كبيرة لرفاق «الجنة» كما أن أولئك

الجوارى قد أستطعن بما وهبن من جمال وظرف جلب الكثير من شباب المدن المحيطة بالسهل إلى منازلهن والتي أصبحت أنديتهم الخاصة. فليس غريباً أن نجد عربة تقف يوماً أو يومين أمام منزل إحدى الجوارى وصاحبها في قمة نشوته وطربه داخل منزل الجارية يحتسى كاسات الخمر ويرشف «فناجين الجبنة» ولكن عادة شرب الخمر قد انحسرت كثيراً بعد صدور القوانين المحرمة للخمر فأصبحت الجبنة سيدة الموقف.

علاقات القبائل ببعضها البعض:-

العلاقات التي تربط قبائل سهل البطانة ببعضها جيدة ومتينة لأن الصلات التي تربط بينهم صلات وطيدة وقوية على مر التاريخ، فهم يشاركون بعضهم في كل المناسبات الاجتماعية والأسرية ويحكم بينهم على الدوام (السالف) أو العرف الأهلى وقل أن نجد خلافات وعداوات بينهم وإذا حدث بينهم شيء من ذلك نجد زعماء القبائل الأخرى يقومون بإصلاح ذات البين حتى يعود الصفاء والود.

أهم عاداتهم وتقاليدهم:-

الكرم:-

الكرم من الصفات البارزة عند أهل البطانة وهى صفة موروثة جاءوا بها من منبعهم الأول (الجزيرة العربية، وتمسكوا بها ولم يتخلوا عنها أبداً، فهم يحترمون الضيف ويقدرونه ولا يملون وجوده مهما طالَّت إقامته بينهم، وإن كانت قبائل البطانة عامة تتفانى في إكرام الضيف وتقديره فإن هناك تفاوتاً في كرمها.

فنجد مثلاً أن قبيلة البطاحين أكرم قبائل سهل البطانة جمعاء وقل أن تنافسها قبيلة في مستوى كرمها، هذه حقيقة لا بد من ذكرها في سياق حديثنا عن عادات وتقاليدهم أهل البطانة، فالبطحاني يكون أكثر سروراً وفرحاً بلقاء الضيف ويتفاعل بمقدمه خيراً ويزداد قرباً والتصاقاً به مهما طالَّت إقامته وامتدت أيامه.

ولا تتوانى القبائل الأخرى في إكرام الضيف كما ذكرنا وقد عرفت أرض البطانة أفراداً من القبائل المختلفة، خلد الكرم اسماءهم بحروف من نور عبر عشرات السنين، مثل الزعيم الدينى الفذ الشيخ الفكى ابراهيم ود أب ناجمة الفادنى، الذى انشأ الكثير من الخلاوى للضيوف بمنطقة أم شديدة ومنهم أيضاً محمود ود زائد الملقب بشحم «ألبل» من قبيلة الضباينة ومن الذين اشتهروا بالكرم الشيخ احمد حمد ابوسن والذى



قال فيه الشاعر البطاني مادحا:-

عَرَّضُوا وَفَرَّضُوا لَأَمْنٍ أَفْنَى مَا فَكَّالِنَ
مَوَاعِينُ الْكَرْمِ تَمَّتْ عِبَارُنُ وَكَالِنُ
خَلَوَاتُوا الْمِثْلَ صُوتَ الْجَرَادِ عَكَّالِنُ
بَكْفِيَهْنَ صَوَانِيَا بُدَاعِ اشْكَالِنُ

والكرم صفة طبيعية توارثوها أبا عن جد فهم لا يفخرون بما يقدمونه لضيوفهم من طعام ومأكّل، بل أن في ذلك كل العار لأنهم يعتبرون ذلك واجباً عليهم لابد من القيام به وقد صدق شاعرهم عبد الله محمد عمر البنا حين قال في قصيدته المشهورة «البادية»:-

| | | | | |
|------|-------|--------|--------|---------|
| رفاق | الضيف | أنى | حل | هبوا |
| | لهم | للضيف | ضم | والتزام |
| إذا | نحروا | العشار | مودعات | |
| | فلا | من | بذاك | ولا |
| | | | | كلام |

وبالتالى فجميعهم يكرهون البخيل ولا يقيمون له وزناً في مجتمعاتهم مهما كثر ماله وتصل كراهيتهم للبخيل الدرجة التى يرفض فيها أفقر الناس منهم تزويج ابنته من أغنى الأغنياء منهم إذا عرف أنه بخيل لا يكرم الضيف.

الشجاعة:-

وكما اتصفوا بالكرم اتصفوا أيضا بالشجاعة، فهم يعتبرون الجبن عاراً لا يمحوه الدهر فالجبان لا مكانة اجتماعية له بينهم، فإذا حدث أن هرب أحدهم من معركة أمام أعدائه فانه يصبح منبوذاً في أوساطهم، فلا ترضى قبيلة من القبائل أن تزوجه من بناتها، ولا حتى أولاده من بعده، فتضطره هذه المعاملة القاسية على الرحيل إلى مكان آخر بعيداً عن ديارهم.

فهم ينشئون أطفالهم على حياة الشجاعة والفروسية وذلك بأن يدرّبوهم على الرعى، ويتركوهم في الفياض وهم في سن العاشرة تقريباً بعيدين عن أمهاتهم وأهلهم، فيعتادون على حياة الانفراد والأعتماد على النفس ومرافقة السيف والسكين والعصا فإنها الزم لوازمهم. وقل أن نجد رجلاً منهم خالى الوفاض من هذه الأدوات باعتبارها من ممتلكات الرجولة والفروسية.

وكذلك نجد لهم صفات أخرى لا تقل فضيلة عن صفتى الكرم

والشجاعة، فهم يهتمون بإغاثة الملهوف والضعيف، والدفاع عن الجار والغريب، ونجدهم عفيفي النفوس، فالبطاني كريم النفس أبى يفضل الموت على الحياة على الذل والهوان ويحافظ أشد المحافظة على أعراض الآخرين بالقدر الذى يرجو ان يصاب به عرضه، كما أنهم يحترمون ويجلون الفقهاء والصالحين ويزورون قبورهم للتبرك بهم، ويعتقدون إعتقاداً شديداً في وجود البركة في أبنائهم وذرائعهم من بعدهم فيحفونهم بنفس القدر من التجلة والأحترام.

عادات الزواج :-

ليست هناك حرية بالمعنى المفهوم كالذى نجده في المدن، حيث يتمتع الشاب بحق إختيار شريكة حياته، وتتمتع هى بحق الرفض أو القبول. ولكن نجد الفتاة البطانية رهينة بيتها دائماً وأبداً، وهى طوع أمر والدها في كل شيء، يختار لها من الشبان زوجاً، ويرفض الذى يرفضه، فهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة .. وغالباً ما تكون الشابة من نصيب ابن العم، اذا كان لها ابن عم .. وكذلك الحال مع الشاب فوالده هو الذى يختار له الزوجة الصالحة، وهو الذى يقوم بدفع تكاليف الزواج، والشاب يقبل ذلك فى طاعة، ولعل مرجع هذا هو عدم إستقلال الشاب إقتصادياً عن والده والزواج يتم عند أكثر قبائل البطانة فى سن مبكرة جداً

اليوم الأول للزواج والذى يعرف عندهم بيوم البوش :-

بعد أن يتم شراء ضروريات الزواج من ملابس ومأكّل، يبدأ العريس فى توجيه الدعوة للأهل والأصدقاء والجيران، وذلك قبل الزواج بثلاثة أيام على الأقل، ولا تكون هذه الدعوة عن طريق الكروت المكتوبة، بل يركب العريس على ظهر جمل جيد، ومعه مجموعة من أصدقائه على ظهور جمالهم يميز العريس من بينهم بملابسه الجديدة الناصعة البياض ويطوفون على الأشخاص الذين يريدون توجيه الدعوة لهم فى منازلهم فرداً فرداً.

ثم يرجع العريس إلى منزله ويكون أهله فى حالة استعداد كامل، لتحضير الوليمة لهؤلاء الضيوف فى اليوم المحدد. حيث تنحر الأبل أو تذبح البقر وتبدأ الوليمة، وبعد إنتهائها تبدأ فترة «الجرتق»، وتبدأ مراسيمه بوضع «عنقريب» أمام منزل العريس، ويفرش ببرش أحمر مزخرف ليجلس عليه العريس وبعض من أصدقائه، لكى تربط له الحريرة

وتوضع «الضريبة» على رأسه، ويقف في تلك اللحظات جميع الحاضرين حول العريس وتقف امرأة تجيد شعر الحماسة فتأخذ في تعداد أمجاد العريس مع صياح الواقفين «أبشرى .. أبشرى». وتقدم في تلك اللحظات المساعدات المالية للعريس، حيث يقف رجل صوته جهورى يستلم المبالغ المالية للعريس ويسمى كل دافع باسمه، وتقاطع صيحات الرجل بالزغاريد من النساء. ولا تختصر المساعدة المالية على النقود فقط، فمنهم من يقوم بتقديم بهائم الذبيح، كالأبل والبقر والضأن، وغالباً ما يكون «الجرتق» عند مغيب الشمس، أو في الضحى كما هي العادة عند بعض القبائل مثل قبيلة الشكرية. وتلى فترة «الجرتق» مباشرة حفلة الزواج «الدلوكة» التي تقوم الجوارى بالضرب على آلاتها وتبدأ بالأغنيات البطيئة الحماسية، فيقفز العريس قفزات متلاحقة في الهواء حاملاً سوطه ومتوشحاً سيفه «يعرض» و «يهز» باشا طروباً. ويتعاقب من بعده أصدقائه ويقفزون قفزات الحرب والشجاعة على دقات الدفوف، ثم يقفون صفواً واحداً، كلهم عراة الصدر والظهر، وليس على أجسادهم سوى سراويلهم وثيابهم الملفوفة على أصلابهم بطريقة محكمة فتتعالى زغاريد الفتيات لهذا العرض البطولى ومع إزدياد دقات الدلوكة يهوى العريس بسوطه على ظهورهم من فوق أكتافهم، الواحد تلو الآخر، فتنفجر منها الدماء ساخنة قانية والشباب منهم ثابت كالطود لا يتزحزح حتى يخرجوه عنوة من الحلبة، والذي يثبت للضرب بالسوط أكثر من الآخرين. ينال إعجاب رفاقه وإستحسان الفتيات ويثنون عليه ثناء عاطراً. والثبات هو ألا يتحرك أى عضو من جسده ساعة الهاب ظهره بالسوط. أما إذا بدرت منه أي حركة يكون عرضة للسخرية من الحاضرين وتسخر منه الفتيات ويصبح حديث أنسهن فترة من الزمن.

بعد ذلك يبدأ الرقص الذى تشترك فيه الجوارى فقط، بإستثناء القليل من بنات القبائل اللائى يسمح لهن أهلهن بالاشتراك فيه. فترى الجارية قد أخذت ترقص رقصة «الرقبة» فيتسابق الشبان عليها ويهزون سيوفهم فوقها، ويضعون الأوراق المالية على جبينها ويأخذون منها «الشبال» ويستمر الرقص هكذا حتى منتصف الليل.

وفي صبيحة اليوم الثانى أو الثالث يتحرك العريس في مسيرة رائعة إلى أهل العروس وتعرف عندهم «بالسيرة» ومعه عدد كبير من الأهل والأصدقاء فيمكتون معه عند أهل العروس ما يقارب اليومين أو الثلاثة، ثم يتركونه في عش الزوجية حيث تنصب له خيمته على مسافة بعيدة من منزل أهل الزوجة وفي الجهة الشرقية غالباً. و «للسيرة» مراسيم خاصة



وتوضع «الضريبة» على رأسه، ويقف في تلك اللحظات جميع الحاضرين حول العريس وتقف امرأة تجيد شعر الحماسة فتأخذ في تعداد أمجاد العريس مع صياح الواقفين «أبشرى .. أبشرى». وتقدم في تلك اللحظات المساعدات المالية للعريس، حيث يقف رجل صوته جهورى يستلم المبالغ المالية للعريس ويسمى كل دافع باسمه، وتقاطع صيحات الرجل بالزغاريد من النساء. ولا تختصر المساعدة المالية على النقود فقط، فمنهم من يقوم بتقديم بهائم الذبيح، كالأبل والبقر والضأن، وغالباً ما يكون «الجرثق» عند مغيب الشمس، أو في الضحى كما هي العادة عند بعض القبائل مثل قبيلة الشكرية. وتلى فترة «الجرثق» مباشرة حفلة الزواج «الدلوكة» التي تقوم الجوارى بالضرب على آلاتها وتبدأ بالأغنيات البطيئة الحماسية، فيقفز العريس قفزات متلاحقة في الهواء حاملاً سوطه ومتوشحاً سيفه «يعرض» و «يهز» باشا طروباً. ويتعاقب من بعده أصدقائه ويقفزون قفزات الحرب والشجاعة على دقات الدفوف، ثم يقفون صفواً واحداً، كلهم عراة الصدر والظهر، وليس على أجسادهم سوى سراويلهم وثيابهم الملفوفة على أصلابهم بطريقة محكمة فتتعالى زغاريد الفتيات لهذا العرض البطولى ومع إزدياد دقات الدلوكة يهوى العريس بسوطه على ظهورهم من فوق أكتافهم، الواحد تلو الآخر، فتنفجر منها الدماء ساخنة قانية والشباب منهم ثابت كالطود لا يتحرك حتى يخرجوه عنوة من الحلبة، والذي يثبت للضرب بالسوط أكثر من الآخرين. ينال إعجاب رفاقه وإستحسان الفتيات ويثنون عليه ثناء عاطراً. والثبات هو ألا يتحرك أى عضو من جسده ساعة الهاب ظهره بالسوط. أما إذا بدرت منه أي حركة يكون عرضة للسخرية من الحاضرين وتسخر منه الفتيات ويصبح حديث أنسهن فترة من الزمن.

بعد ذلك يبدأ الرقص الذى تشترك فيه الجوارى فقط، بإستثناء القليل من بنات القبائل اللائى يسمح لهن أهلهن بالأشتراك فيه. فترى الجارية قد أخذت ترقص رقصة «الرقبة» فيتسابق الشبان عليها ويهزون سيوفهم فوقها، ويضعون الأوراق المالية على جبينها ويأخذون منها «الشبال» ويستمر الرقص هكذا حتى منتصف الليل.

وفي صبيحة اليوم الثانى أو الثالث يتحرك العريس في مسيرة رائعة إلى أهل العروس وتعرف عندهم «بالسيرة» ومعه عدد كبير من الأهل والأصدقاء فيمكتون معه عند أهل العروس ما يقارب اليومين أو الثلاثة، ثم يتركونه في عش الزوجية حيث تنصب له خيمته على مسافة بعيدة من منزل أهل الزوجة وفي الجهة الشرقية غالباً. و «للسيرة» مراسيم خاصة

تختلف من قبيلة إلى أخرى يصعب علينا التحدث عنها.
ويشاهد العريس في أيامه الأولى لا يفارق سيفه أبداً، وذلك لأعتقادهم
انه يحميه من الأرواح الشريرة. ومن العادات المألوفة عند أغلب قبائل
البطانة إن المرأة لا تتأذى زوجها بإسـمه وانما تتأذى بأبـى فلان إن كان
له ولد وبـالاشارة إن لم يكن له ولد كما ان الزوج يتحاشى كثيراً أن يلتقى
بأم زوجته «نسيبته». فهم يرون أن النسبية لأبد أن تحترم وتقدر، فهم
يعزونها إعزازاً شديداً فإذا طلب احدهم شيئاً من الآخر ورفض قال له
«نسيبتك، نسيبتك»، الا ان تفعل كذا، وكذا فيستجيب له إكراماً لها مهما
كان الأمر، وهذه الظاهرة نجدها عند معظم قبائل السودان.

الماتم:

عندما يموت عزيز لهم نجدهم يبكون علي بحرقه وألم. فتخرج النساء
حاسرات الرؤوس ويبدأن في النواح والصراخ الذي يدل على الأسى والحزن،
وينثرن التراب والرماد علي رؤوسهن. والجدير بالذكر أن الرجل عند معظم
قبائلهم لا يبكي لموت الأنثى أما إذا كان الميت رجلاً عظيماً فيبكي عليه
الرجال بشدة وحرارة، فيشاهد الرجل منهم وقد جاء إلى مكان العزاء يتجه
أولاً إلى مكان الرجال ويرفع يديه بالدعاء ويقرأ الفاتحة على روح الفقيد.
ثم يتجه إلى تجمع النساء إذا كان من أقرباء أو أصدقاء الميت بعد ان
يغطي رأسه بثوبه ثم يبدأ في البكاء بصوت مرتفع فيشاركه البكاء كل
الموجودات من النساء.

وتقوم قبيلة الشكرية بضرب «النقارة» وتستل السيوف من أغمادها،
ويقفز الرجال في الهواء مع ترديد كلمات الأسى والحزن، وتجرى الجمال
حول منزل الميت، خاصة إذا كان الرجل من زعماء القبيلة، ويرددون
عبارات عجيبة «اريتك الليلة كان في ضرا درقات» ويقصدون بذلك أنه لو
كان اليوم عند عدو يحبسه وراء السلاح لما تركوه له ولأخذوه منه عنوة
واقتراراً، ويرددون عبارات أخرى مثل «وكت نكير جاك سيفك ما حداك؟
أى عندما جاءك نكير ألم يكن سيفك بجوارك لتحـمى نفسك؟ وذلك
لأعتقادهم أن نكير هو الذى يقبض الأرواح. ويقومون أيضاً بقطع الشجر
الأخضر، وهم يرددون هذه العبارة «ات مخضر وفلان متحدر» أى كيف
جاز للشجر أن يكون مخضراً وفلان ميتاً وقد تلاشت هذه العادات تماماً
في هذا الوقت.

مشاكلهم:

١: لعل من أهم مشاكل أهل البطانة والتي يعانون منها منذ زمن بعيد

هي: مشكلة المحل، فأمطار هذا السهل الممتد غير منتظمة حسب جاذبه الجغرافية، فالأمطار تأتي عاماً وتندم أحياناً. الشيء الذي أدى إلى موت الكثير من مواشيهم وقلل من ثرواتهم الحيوانية هذا بالإضافة إلى الأمراض المتنوعة والتي تصيب هذه المواشي سنوياً.

٢: لقد كان أصحاب المواشي في السنوات السابقة يجدون بسهولة رعاة بأجور زهيدة ولكن بعد هجرة الكثير من هؤلاء الرعاة إلى المدن الزراعية القريبة مثل القصارف، وحلفا الجديدة، أو المدن الصناعية مثل عطبرة والخرطوم فقد قلت الأيدي البشرية التي تشرف على تربية هذه المواشي، فهؤلاء الشبان قد وجدوا حياة سهلة وعانداً أكثر مما حدا بهم لئلا يتركوا مواشيهم بعد أن يحذوا حذوهم بعد أن ظهرت على أولئك الشبان سمات المدنية والتحضر في الملبس والسلوك.

٣: مشكلة مياه الشرب من أهم المشاكل التي يعاني منها سكان سهل البطانة فهم يعتمدون إلى حد كبير على الآبار السطحية المائية الملوثة على منسوب مياه نهر عطبرة الذي أصبح يجف في معظم شهور السنة لانشاء خزان خشم القرية عليه.

٤: يتفشى الجهل بين هذه القبائل إلى درجة يرثي لها، وذلك اقله المدارس وعدم التوعية التي تساعد رفقهم بإرسال أبنائهم إلى دور التعليم فما زال كثير من الاطفال لا يذهبون إلى المدارس لأسباب عدة، أهمها إن اهلهم يحتاجون إليهم تقريباً في سن العاشرة أو ربما قبل تلك السن في خدمة المواشي والحيوان وكذلك لعدم توطئ هذه القبائل واستقرارها في أماكن معينة، الشيء الذي أدى إلى عدم تقديم الخدمات الضرورية لهم.

٥: الصحة: لا تقل أهمية الصحة عن التعليم، فبالرغم من وجود «شفخانات» عديدة إلا أنهم يلاقون صعوبة كبيرة في نقل مرضاهم إلى عطبرة، الخرطوم، رفاعه، القصارف وحلفا الجديدة.

لم نقصد بهذا المدخل، الحديث بـ «ب» وتفصيل عن التقاليد والعادات والجوانب التاريخية لحياة هذه القبائل وإنما قصدنا أن نعطي القارئ خلفية لهذه الدراسة، ربما تساعده في فهم وإستيعاب ما ورد بها من موضوعات.

وصف الطبيعة

الفتنة الساحرة التي تمتاز بها أرض البطانة في الخريف أخذت دائماً
بمجامع قلوب الشعراء، ففي أرض البطانة الخضراء المتسعة قال الشعراء
الكثير وأبدعوا في الوصف ولعل أكثرهم شعراً الصادق أبو آمنه من قبيلة
الشكريه وطه ود الشلهمه من قبيلة اللحويين وعثمان ودجماع ومحمد ود
نائل من قبيلة البطاحين.
يقول الشاعر يصف أرض البطانة وقد هطلت عليها الأمطار واكتست
بسندسها الرائع:

سَمَحَتْ وَمِنْ شَنَاتِ الصَّيْفِ لُونَهُ انْدَسَ
وَجَبَّالِكَ لَبَسَ مِنَ الْخَضَارِ وَاتَّكَسَى
يَا الْمَرْدَا التَّلِينَى مَعَ الْجَمَالِ فِي الرَّسِّ
فُوقَكَ زَرْقُنَ الرِّزْمَى السَّحَابُو اتَّمَسَى

شرح المفردات:

(١) شَنَات: قُبْح (٢) المرء: الأرض المستوية الواسعة (٣)
الرس: سير الجمال ببطء.

يرسم الشاعر لوحة رائعة لونها الكلمات وزادتها تعبيراته البديعة
ألواناً جذابة. فهي الأرض قد تجملت وأختفى لون الجفاف الذي خلفه
الصيف القاحل ولبست الجبال ثوباً أخضراً بديعاً مختلف الألوان وإن
كانت تغلب عليه الخضرة. ويصف أرض البطانة بأنها واسعة الأرجاء،
جيدة التربة تلين تحت أقدام الجمال عندما تسير فوقها دلالة على انها
ليست أرضاً حجرية بل أرض سوداء خصبة ومروية بماء المطر الذي كان
كثيراً جداً ويسترسل الشاعر المبدع في وصف البطانة فيقول:

يَا الْمَرْدَا الرَّدَمَ فَيَخُكُ سَحَابُ الطَّرْفِ
جَدِيعَ النَّمِيمِ بَجَى فُوقَ عَفَاكَ غَيْرَ كُفِّهِ
مَرِيَّهِ وَفِيكَ بَطْبُقُ الْعُمَارِ الْخَلْفِ
مَطْرُوحِهِ وَجِنَاحِكَ كُوعُو وَطْنُ حَلْفِهِ





يقول الشاعر أن الحروب في أرض البطانة شيء طبيعي لطمع باقى القبائل في إمتلاك أجزاء منها، ولكن أهلها يحاربون بضراوة شديدة تجعل الصقور تمشي في ركابتهم لأنهم دائماً يتركون لها جثث الأعداء فتجد فيها طعاماً شهياً وبالرغم من كل شيء فإن أرض البطانة كريمة ومعطاءة لا يجوع سكانها لأن الله سبحانه وتعالى قد من عليها بالأمطار الكثيرة وإذا كانت الأرض الأخرى على النيل تفخر بنخيلها الباسق، فأرض البطانة يحق لها أن تفخر أيضاً بنبات السحاح والمفيربط والصفارى لأنها نباتات جميلة المنظر غنية بالغذاء تعيش عليها الأبل.

لقد أثرت هجرة الحلفاويين إلى سهل البطانة في نفوس أهل البطانة فقد كانت مراعيهم وديارهم، ولكن بعد أن أستوطنها غيزهم تألموا ألماً شديداً ونظموا أشعاراً كثيرة في هذا الصدد.

هذا هو شاعرهم الصادق آب آمنة يحن إلى أيام ماضية كانت فيها هذه البقعة من سهل البطانة مراعى لمواشيهم قبل إنشاء مشروع خشم القرية.

يَا حَلِيلَكَ قَبِيلَ وَكْتِينَ نَدَاكَ بِي زَيْقُو
وَزَنَ الدِّيشَ نَزَلَ كَبَعْدَ اللَّبَالَى فَرِيْقُو
ضَرَّاكَ دِيشَ حَلْفَا . اَللهُ يَعِيقُو
سَوَالِكَ فَعَالَن نَفْسِي مَابْطِيقُو

شرح المفردات :

(١) الزيق : شريط سن الخضرة.

(٢) وزن الديش : اسم رجل غنى يملك الكثير من الأبل.

(٣) اللبالى : يقصد الأبل.

(٤) يعيقو : يضره.

(٥) سوالك : فعل بك.

يتألم الشاعر وهو يتذكر منطقة خشم القرية قبل قيام المشروع الزراعى فقد كانت مرتعا خصبا لحيواناتهم عندما ينزل بها وزن الديش ذلك الرجل الغنى الذى يملك أعداداً كبيرة من الجمال وتحيط الأبل منازلهم من كل الجهات. ويسخط على المهاجرين إذ أنهم مزقوا أحشاء تلك الأرض بالمحاريث والجرارات، وأخذوا يزرعونها وهو يريد لها مراعى ليس غير. ولعل إرتباطه النفسى بتلك الفياقى هو الذى جعله يرفض كل تغيير ويقف بصلافة أمام أى تطور وتقدم.

شرح المفردات:

- (١) الفيخ: الأرض المنخفضة اللينة (٢) النميم: الغناء (٣) المريه: هى الأرض الخصبة التى تسمن فيها الابل.
(٤) الطرفة: موسم من مواسم المطر. (٥) العمار: جمع عمره وهو إناء يستخدمه الرعاة فى حلب الابل.
(٦) الخلفه: الناقه التى مر على ولادتها عام كامل

يخاطب شاعرنا أرض البطانة فيقول لها أن السحب والامطار قد روت أراضيك الواسعة فى موسم الطرفة. وفى موسم الطرفة بالذات تكون الأمطار غزيرة جداً ويطلقون عليها اسم «الطرفة البكاية» لكثرة أمطارها وهدير رعداها. ويقول الشاعر وهو يخاطب أرض البطانة الخضراء ان الشعر والقوافى تأتي من تلقاء نفسها وبلا تكلف لأن جمال أرض البطانة ومناظرها الخلابة توحى للشعراء بأجمل النظم وأحلى الكلام ويرجع ذلك أيضاً لحبهم لهذه الأرض، ولكثرة خيرها فإن الناقه فيها كثيرة اللبن وقد تملأ إناء الحلب مرتين، كما إنها واسعة جداً وقطعة صغيرة منها أستطاعت أن تستوعب كل مواطنى حلفا الذين هاجروا منها بعد قيام السد العالى وأستوطنوا حلفا الجديدة والتى هى جزء لا يتجزأ من أرض البطانة.

ويعتز الشعراء فى البطانة بأراضيهم ويحبونها حباً كثيراً ولا يفرطون فى شبر منها لعدو، هذا هو الشاعر ود نائل يقول:

المَوْتُ يَا أُمَ هَبْجَ صَقَّارُوا تَابِعْ خَيْلِكَ
الْأَكْرَمَ مَا بِجَوْعِيهِ نَخِيلِكَ
رَبِّ الْعَرَّةِ بِي وَابْعَلِ الْمُطَرَّ سَاخِيكَ
السُّحَا وَالْمِفْرِيطَ وَالصَّفَارِي نَخِيلِكَ

شرح المفردات:

- (١) أم هبج: الأرض المفككة التربة المنخفضة التى تقع بين مرتفعين
(٢) دخيلك: الذى يسكن بداخل شعابك
(٣) ساخيلك: عطف عليها وجاد بالامطار الغزيرة
(٤) المفيريطوالصفارى: نوعان من أنواع النباتات الكثيرة والتى تنبت فى سهل البطانة.

لقد أمتك الصادق «حواشه» في ذلك المشروع وأخذ يزرعها ولكنه شاهد مرة البروق تلمع في أجزاء سهل البطانة الأخرى بعيداً عن المشروع فعاوده الحنين وملاً قلبه الشوق إلى حياة البادية والرعى، فيقول متأثراً يصف حاله وحال أرض البطانة المزروعة وتلك التي مازالت مرعى :

اتَّخَلَّفَهَا الْبَطْحَانِي وَالْعَبَّادِي
وَنَفَضْنُو الْمِتْلَ جَبَبٌ أَمْ صَرِيمَةٌ يَدَادِي
نَحْنُ تَرَانَا لِلشَّابُورَةِ دِيمَةٌ نَحَادِي
عَنْرُ الشَّاي مَرَّاقِبُهُ مِنْ غَرَامَةِ الْقَاضِي

شرح المفردات :

- (١) جبيب أم صريمه : هي الحبرة السوداء التي تلبسها نساء الرشايدة، يشبه بها السحاب لسواد لونه ولونها.
(٢) الشابورة : الحواشة الزراعية.
(٣) يدادي : يرعد.

يقول الصادق أن البرقين البطحاني والعبادي بدءا يلمعان في وقت واحد على أرض البطانة التي لم يصلها المشروع وقد ساقطت تلك البروق السحب السوداء المليئة بالماء. ويصف حاله بأنه أصبح عبداً لأرضه الزراعية وولى زمن الحرية والأنطلاقة في وديان البطانة الواسعة ونراه يتعرض بالنقد الشديد لحالة الضبط والربط التي شملت المنطقة فمنع الرعى فيها، والحيوانات إذا تركت طليقة فأنها بلا شك تخرب الزرع ولذلك فان وجودها طليقة يعرض أصحابها للمحاكمة والغرامة وهي صورة مؤلمة بحق اذا عرفنا ان الأغنام وخلافها كانت ترعى طليقة بلا قيود أو حدود. وقد أبدع الصادق كثيراً في وصف «مملار والبروق»

الضَحْوَى الرَّزْمُ جَابَ الدَّلِيْجُ مِنْ غَادِي
فَإِيْضاً غَرَّقَ الْعُقْدَةَ وَمُطِيْمَرُ الْهَادِي
أَسْقَى الْبَحْرِي مِنْ لَيْلُو وَبَنَاتُ الْوَادِي
يَمْشِي كَسِيْدَهُ لَاعِدَ الْعُلُو الْمِسَادِي

شرح المفردات :

- (١) الضحوى : الأمطار التي تنزل وقت الضحى والظهري وقت الظهر.
(٢) رزم : أرعد.
(٣) الدليج : اسم وادي زراعي.

عامّة رحمة وخير ونماء. وسنوات القحط والجفاف خطيرة على أهل البطانة لأنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الأمطار. ولكي نعطي صورة حقيقية لأهتمام أهل البطانة بالمطر يحسن بنا أن نسير قليلاً مع هذا الشاعر الفذ يصور لنا حالتهم وحالة أرضهم صيفاً أيام الجفاف ثم بعد هطول الأمطار:

يقول هذا الشاعر :

الصَّيْفُ دَخَلَ لَيْلُو الْقَصِيرِ وَالْآنَا
بِي مَدَّ النَّهَارَ طُولَ الْهَجِيرِ قَلَانَا
فَكْ سَمُومُو وَحَتَّ الزَّهْرَه مِنْ أَغْصَانَا
وُفِي آخِرُو الْهَبَايِبِ حَسَرْتُ مَرْعَانَا

شرح المفردات :

(١) والانا : استمر معنا.

(٢) قلانا : أحرقنا.

(٣) خسرت : ألفت.

يقول الشاعر لقد بدأ الصيف بليله القصير ونهاره الطويل الذي أحرق لهيبه أجسادنا، وسموم هذا الصيف حارة لدرجة أنها جعلت الزهور تذبل وتتساقط، ثم بدأت الهبوب محملة بالتراب تهب على أرضنا فتدفن الحشائش التي كانت تعتمد عليها حيواناتنا في معيشتها.

انها صورة قاتمة لأيام قحط رسمها الشاعر في براعة فائقة. فلكيما يصور لنا شعورهم وضيقهم بالصيف أكد حقيقة أن نهاره طويل وحار ولكيما يؤكد الخراب الذي لحقهم من جراء ذلك قال الزهر «تساقط» «والهبوب» دفنت كل نباتات مراعيهم وهم يعتمدون عليها لرعى حيواناتهم رويداً رويداً تبدأ بشائر الخريف.

الْلَيْلَه الرُّشَاشُ وَدَّ الْخَرِيفَ طَلَانَا
بِي أُمَ بَشَارَ نَسَجَ زَيْنَ مَاقْدَرُ بَلَانَا
رَجَعَ لِي أَبُوهُ قَالِيَهُ الْأَرْضُ عَطْشَانَا
النَّاسَ قَالُوا قُبَّالَ الْفَوَاتِ الْفَانَا

شرح المفردات :

(١) الرشاش : أوائل فصل الخريف .

(٢) أم بشار : يعنى بها السحب .

(٣) الفانا : أدركنا وأنقذنا مما نحن فيه .

يقول الشاعر بعد أن انتهت أشهر الصيف القاحلة وسمومه المحرقة بدأ الرشاش الذى هو عادة يسبق الخريف يظل عليهم . وبالرغم من أن أيام الرشاش بسحبها الكثيرة قد جادت بأمطار كثيرة ولكنها لم ترو الأرسى رياً مقبولا .

ويقول الشاعر فى بلاغة ظاهرة أن فصل الرشاش بعد أن فشل فى رى الأرض وهو «ابن الخريف» رجع لوالده الخريف وأخبره بأن الأرض مازالت عطشى وأن الناس يترجونه أن يأتهم سريعا قبل أن تلحق بهم أضرار كثيرة .

وتمر عدة أيام فيستجيب الخريف لنداء ولده «الرشاش» .

بَعْدَ أَيَّامٍ قَرَابٍ جَاءَتْ أُمُّ رَوَيْقٍ طَالَانَا
عَيْنَ الْبَرْقِ تَفْتِجُ أَنْ تَغْمُضَ أَنَا
تَكَاَلَمَ فِينَا مَا عَرَفْنَاهُ عَجَمِي لِسَانَا
لِي طُلُوعِ الْوَكْتِ قَتَ مَا انْقَطَعَ طَنَانَا

شرح المفردات :

(١) أم رويق : هى المطر التى تروى كل الأراضى .

(٢) طلوع الوقت : الفجر .

(٣) الطنان : صوت نزول المطر .

يقول الشاعر بعد أن أستجاب الخريف لنداء ولده المستمد من رغبة الجماهير المشتاقة نزلت الأمطار غزيرة عليهم ، وبدأ البرق يلمع فى سماء البطانة من وقت لآخر فهو يفتح عينه مرة ويغمضها مرة أخرى . والرعد يدوى دويها هائلا ويتحدث بلغة غير مفهومة لديهم . ويقول الشاعر إن الأمطار استمرت تهطل طول الليل حتى مطلع الفجر ، فأرتوت الأرض وتشبعت بالماء وعندما أصبح أصبح وجدها الشاعر قد سالت وديانها . هاهو يرسم لنا تلك الصورة الفريدة فيقول :

أَصْبَحْنَا الصَّبَاحَ شُقْنَا الْأَرْضَ رُويَانَا
 الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ غَالِيهَا لِي وَدِيَانَا
 جَمِيعُ الْفِيهَا كَانَ الْوَحْشُ كَانَ إِنْسَانَا
 يَحْمَدُ رَبُّو حَمْدًا لَا عَدَدَ شُكْرَانَا

يقول الشاعر بعد أن أصبح الصبح وانتشر الضوء شاهدوا أرض البطانة وقد أرتوت بالمياه الوفيرة التي بدأت تنحدر من المرتفعات وتنساب داخل الوديان تحمل معها الخير والرخاء. وقد حمد جميع سكان أرض البطانة من بشر وحيوان رب العزة الذي كلاهما بعين رحمته وعطفه وهطلت عليهم السماء مدراراً وشربت الأرض من بعد عطش ونبت نباتها من بعد موت وجفاف ففرح الجميع وهللوا وكبروا.
 ثم ماذا ؟

أَرْضِيَا لِبَسْتِ الثُّوبِ الْخَضَارِي مَقَانَا
 عَشْتِ وَأَشْبَعْتَ فِي الْآخِرِ الْهَنَانَا
 وَاحِدِينَ حَضَرُوا السَّلُوقَةَ بِي كَرِيَانَا
 وَاحِدِينَ هَدَمُوا وَانْدَرَجُوا نَشَقُوا بَطَانَا

شرح المفردات :

- (١) الخضاري : الأخضر.
- (٢) السلوقه : آلة خشبية تستعمل للزراعة المطرية.
- (٣) الحنانا : الناقة.
- (٤) الكريان : الأجراء.
- (٥) النشوق : الرحيل من أماكن الدمر.

هكذا يكمل الشاعر وصفه فهأى أرض البطانة وقد كست الخضرة ربوعها ونبتت الحشائش وفرحت الأغنام في أول انباتها وبعد أن كبرت تلك الحشائش وجدت النياق الكثير من النبات الذى أشبعها وأشبعته بلبنها أصحابها وقام بعضهم يستعدون للزراعة وأعدوا آلاتها والأجراء وقام البعض بهدم منازلهم المؤقتة وساقوا إبلهم وماشييتهم متجهين نحو أرض البطانة الفياحة.

هذه الصورة التى رسمها هؤلاء الشعراء لأرض البطانة صادقة بحق ولأنهم يحبون أرضهم ويعزونها فإن كل كلمة تقال فيها تنبع أصلاً من سويداء الفؤاد وتعبر بصدق وحرارة عن الغرض الذى ينظمون فيه شعرهم.

الابل

تعتبر الأبل من أعظم وأفضل الحيوانات في أرض البطانة، وإن كانت المفضلة في جميع بواى السودان. فهي الوسيلة الوحيدة تقريباً لتنقلهم من مكان لآخر خاصة في أيام الخريف وقبل أن تصل العربات الى جميع ربوع البطانة. والأبل أنواع ولها أسماء مختلفة منها العربى وهذا النوع يستعمل في حمل الأثقال وهو من أبطأ وأرءأ أنواع الابل ولكنه يمتاز عن بقية الأنواع الأخرى بغزارة اللحم وكثرة اللبن. فالنياق العربية لبونة ولكثرة لحمها وشحمها فإن لها شهرة عالمية في الأسواق التجارية أما النوع الثانى من الابل فهو «العنافى» فهذا أجمل أنواع الابل في صورته وهيكله العام وأسرعها طراً في السير، ويمتاز بنحافة الجسم وهو مفرط الحساسية وغالبية إستعماله في السباق وهى رياضة محببة لعرب البطانة كافة.

والنوع الثالث يطلق عليه اسم البشارى نسبة لقبيلة البشاريين والتي يكثر عندها هذا النوع من الابل. ويسمى العنافى «بالأصهب» او الحر ويأتى البشارى في المرتبة الثانية له. والابل البشارية لا تتحمل العطش ولا التعب ولكنها مريحة في الركوب.

الصفات المميزة للابل:-

- ١- قليلة التكاثر فالناقة لا تلد إلا بعد عامين من ولادتها الاولى تقريباً.
- ٢- لا تتأثر كثيراً بسنوات الجذب والمحل.
- ٣- يمكنها السير إلى مسافات بعيدة كما إنها تعيش اياما كثيرة بدون ماء أو عشب.

أمراض الابل

أمراض الابل كثيرة ومتنوعة منها أمراض معدية سريعة الانتشار مثل مرض الجرب والجفار الذى تسببه ذبابة خاصة تكثر في جنوب سهل البطانة وهناك أمراض أخرى ولكنها غير معدية مثل الهبوب ومرض النحاس ومرض الغدة الذى تسببه الأتربة التى تخالط النباتات الخضراء ومرض الجفار تظهر اعراضه سريعاً، فالجفار تظهر اعراضه بعد مضى اربعين يوماً من لسعة الذبابة، اما مرض الدود وهو مرض من الامراض المشهورة التى تصيب الابل يجىء نتيجة للنباتات الخضراء في ايام



الخريف، تلك التى تكون قد رعتها الابل من قبل وتظهر اعراض هذا المرض فى فصل الصيف غالبا وبعد ارتفاع درجة الحرارة.

مراحل تطور الابل:-

يسمى رضيع الناقة فى عامه الأول (حوارا) وفى بداية العام الثانى يطلق عليه اسم «المفرد» لانه يكون قد أفرد من أمه وتم تلقيحها ويمكنه جنينها الثانى فى بطنها اثنى عشر شهراً وعندما تلد يكون قد مر على الولادة الأولى عامان.

يلى المفرد [ود اللبون] ثم الحقبة او الحق يطلق عليه اسم «البكرة» إذا كانت انثى أو «القعود» ان كان ذكرا، ويتم تلقيح البكرة وهى بنت لبون إذا توفر لها العشب والنباتات الجيدة المغذية، ثم تجيء التسميات التالية على التوالى مع ملاحظة أن الفرق بين كل تسمية وأخرى عام كامل وهى:- جدعة، تنيه، رباع، سدیس نائب وهى المرحلة الأخيرة التى تكتمل فيها قوة البعير.

أهمية الابل عند أهل البطانة:-

- ١- مصدر رزقهم وثروتهم ويبيعونها فى كميات كبيرة.
- ٢- يرتحلون عليها فى تنقلهم من مكان لآخر جريا وراء العشب.
- ٣- يشربون ألبانها وهى لذيذة ومغذية.
- ٤- يستفاد من أوبارها فى صنع الشمال والأغطية والأفرشة والأبسطة.
- ٥- يستفاد من جلودها فى صنع الحبال القوية.

أهم أسواق البطانة:-

- ١- الدامر عاصمة مديرية النيل وهى أكبر وأهم سوق لابل قبائل البطانة، ٢- تمبول ٣- القصارف ٤- رفاعة ٥- جلفا الجديدة.
- أما جمهورية مصر العربية فتعتبر أهم أسواقهم خارج القطر. ان كان شعراء البطانة يطرقوا لكل أبواب الشعر فقد نظموا أيضا الكثير من الأشعار فى وصف الابل ومدحها ولا سيما أن الابل تعتبر مصدرا إقتصاديا هاما للبطانيين.
- ها هو الشاعر إبراهيم سليمان الذى يكاد أن يطلق عليه اسم شاعر الناقة لكثرة ما وصفها يقول:-

بَتَّ أَبْ طَيْرِهِ شَبَعَتْ فِي الْعَوَجِ وَالذِّلِّ
وَبَقِيَتْ حَالَهُ أَشْبَهَ بِي مَرِيضَ السِّلِّ
أَرْجَوْلُهُ يَا مُحَمَّدُ يَا شَفِيعَ الْكُلِّ
تَدَهَا فَوْقَ صَنَاقِرٍ الْمُقَيَّدِ ضَلِّ

شرح المفردات:-

(١) الصناقيز: الأراضى المرتفعة.

(٢) المقيد: اسم مكان.

بت أب طيره ناقتة، ولعل أباها اسمه «أب طيره» لقد عانت ما عانت لأن الخريف كان شحيحاً أو لعله لم يأت مطلقاً، وقد عم الجفاف كل الديار لدرجة أن ناقتة بالرغم من انها صبورة وشديدة التحمل كانت تعاني من الجذب مما جعلها هزيلة أشبه بذلك الرجل المصاب بمرض السل. ولما كان المحل شديداً فانه تضرع طالباً من شفيع الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان يعطيها سحابة مطر تظللها وينهمر مطرها. ويحبون الابل حباً كثيراً وتجدهم يسخرون من الذين لا يربونها. أقرأ للشاعر إبراهيم سليمان نفسه:-

وَقَعَ مَطَرُ الْبُطَيْنِ وَلَمْ سَادِيزْ خَسَّرْ
سَيِّدُ أُمِّ زُورٍ عَلَى رَاعِي النَّعَاجِ انْتَصَرْ
أُمَاتُ الْبَهِيحِ بَعْدَ النَّجْمِ مَا عَصَرْ
مَاجَابُورِينَ الْعَيْشِ لِلْعَلِيقَةِ وَقَصَّرْ

شرح المفردات:-

١ - وقع مطر البطين: البطين منزل من منازل المطر.

٢ - أم زور: الناقة ٣ - ما عصر: غرب.

٤ - البهيج: يعنى به الجمل الفحل.

٥ - قصر: لم يكفها.

يقول الشاعر:

ان المطر قد نزل قبل أوانه مما أثر تأثيراً شديداً في العشب فأفقدته قيمته الغذائية الشيء الذي جعل أصحاب الأغنام والأبقار يقلقون لمصير أغنامهم. أما أهل الابل فقد انتصروا عليهم لان إبلهم تستطيع ان تسير مسافات طويلة حيثما يوجد العشب والخير أما أصحاب الأغنام فهم في حيرة من أمرهم يشترون لها «العليقة» أى الذره فلا يكفيها ولا يشبعها. ويرسم الشيخ نصر الدين أحمد [الدليقاي] صورة رائعة لحالة الضأن وصغار الماشية في سنوات المحل فيقول:-

الضَّانُّ أَكَلَ بَعْضُو وَتَلَ رَقَاعُ
وَالْبَقَرُ التَّعِيشَ وَدَّوهُ لِلْجَزْرِ مَا نُبَاعُ

وَدَّ أَمَ زُورٍ وَكَتَّ يَلْفِي عَقِيدُو مُونَجَّاعٍ
تَلْقَى أَمَاتُو قَبْلَ الْجَزِيرَةِ رُتَّاعٍ

شرح المفردات -

- ١ - تل: اصبح ٢ - زقاق: جلد على عظم.
 - ٣ - ود أم زور: رضيع الناقة ٤ - وكث: عندما يجد.
 - ٥ - عقيدو: الشخص الذي يقوده إلى مكان العشب.
- يعنى الشاعر عبارة الضان أكل بعصو ان أصحاب الضان بدأوا يبيعون بعض اغنامهم لشراء الذرة للبقية الباقية لأبقاها من الموت فكان هذه الاعنام بدأت تاكل بعصها البعض، وهي صورة مؤلة بحق وحتى الأبقار لم تصمد لتلك الأيام العصيبة فقد أصبحت حلواً على عظام ورفض الجرارون شراها لأنها هريلة لا يؤكل لحمها ويفخر بالجمال حيث يقول أن رضيع الناقة الصغير إذا وجد من يقوده إلى أماكن العشب يستطيع أن يسير مسافات بعيدة.
- وعندما يكون المطر قليلاً فإن أهل الضان والماعز والبقر يعيشون في هم كبير. ولكن أهل الابل لا يؤثر فيهم المحل مهما كان.

الليَّامُ بِشَوْفِ أَهْلِ الْغَنَمِ مَهْمُومُهُ
وَكُلُّ مَرَّةٍ عَلَى الدَّكَانِ يَقِيفُنْ زُومُهُ
الْمَحَلَّةُ الْمُطَرَّبِحَةُ وَالْوَطَى الْمَهْدُومُهُ
بَطَرَّبِحِبْهَا أَمْ زُورٌ لِلْقُلُوعِ فِي يَوْمِهِ

شرح المفردات:

- (١) الليام: هذه الايام (٢) بشوف: اشاهد وارى
- (٣) يقيفن: يقفن (٤) زومه: مجموعات
- (٥) المحلة: الارض الخالية من النباتات
- (٦) المطربحه: الواسعة (٧) الوطى: الارض
- (٨) بطربحبا: تمشيها (٩) المهدومه: المشققة
- (١٠) القلوع: اسم مكان (١١) ام زور: الناقة

يقول الشاعر متكهماً أنه في أيام القحط يجد اصحاب الضان والماعز انفسهم في قلق حقيقى، فها هم يجمعون اغنامهم امام الدكان ليعطى لها الذرة ولكن بالرغم من ذلك القحط الشديد فإن الناقة لا تتأثر كثيراً بهذا القحط، بل انها تستطيع أن تسير مسافات طويلة إلى الأماكن التى تجد فيها العشب وهذا ما لا تستطيع الاغنام ان تفعله، وهو بهذا يشير الى ضعف الاغنام وإنها بالمقارنة بالابل لا تساوى شيئاً.

ولأهمية الابل فان سكان البطانة يحتقرون كل ما عداها من حيوانات
هاهو الشاعر إبراهيم سليمان يرسم لنا صورة حية لسنة قاحلة وكيف أن
الابل لا تتأثر بالمحل ويتحسن وضعها كثيراً بالنسبة لما عداها:-

طَالَتْ وَأَمَّغَتْ فَنَقِيلَهُ أَبَى مَا يُصْصِفُ
وَالنَّجَامَهُ حَالُونَا الضَّرَاعُ لِلصَّيْفِ
انْجَلَتْ الْبَسَافِرُوبَ الْعَبَابِدَهُ الرِّيفِ
غَنُومَ الدَّرَاهِمِ يَعْمَلُونَ كَيْفَ؟

شرح المفردات:-

- (١) الضراع: أول منازل المطر.
- (٢) النجامة: الذين يعرفون منازل المطر «المنجمون».
- (٣) غنوم: أغنام.
- (٤) الريف: مصر.

يقول الشاعر -ن القحط كان شديداً، واستمرت الرياح تهب عنيفة من
جهة الغرب دليلاً على أن المطر لم يهطل في ذلك المنزل الفلكي. بالرغم من
هذا القحط الشديد فان الابل لم تتأثر أبداً بل تجلت في أبهى صورها.
ولكن الألاغانم هزلت واصبحت اسعارها دراهم معدودات ويتحكم على
اصحابها فيقول لهم ماذا أنتم فاعلون بها.
ويهتم أهل البطانة بمعرفة النجوم والرياح والظواهر الطبيعية خاصة
منازل المطر وذلك لاهتمامهم بتوفير الغذاء المتكامل لابلهم ومواشيهم
واعتمادهم على الطبيعة وماتاتى به من نفع أوضر.
هذا شاعر يحدث ناقتة ويبدو أن الجذب كان شديداً.

لَحَاحُ الْغَرْبِ سَاقُ الْمَنَازِلِ خَيْسُ
وَقُلُوبِكُمْ مِنْ رَحْمَةِ السَّيِّدِ نَعْلُ مَا أُيْسُ
الضُّيْقُ مِنْ هَالَالِهِ وَالصَّحَابَةُ مَسَائِسُ
قَالُوا بِعَقْبُو خَيْراً فَيُضَوُّ مَا بِثَقْيِسُ

شرح المفردات:-

- ١ - لحاح الغرب: الرياح التي تهب من جهة الغرب.
- ٢ - المنازل: منزل المطر ويعادل المنزل ثلاثة عشر يوماً.
- ٣ - خيس: أبطل.
- ٤ - نعل: لعل.

يقول الشاعر مخاطباً ناقته يجب ألا يملأ قلبها اليأس ويطمئننها بأن الضيق لا بد أن يعقبه الفرج فهذا امر معروف منذ زمن قبيلة هلاله وأصحاب الرسول «ص» ورضوان الله عليهم.

وعندما يشهد المحل فإنه لا بد لهم من الانتقال من مكان لآخر بحثاً عن العشب ها هو الشاعر ابراهيم سليمان يصف حاله وقد اجبرته الظروف على ترك البطانة والهجرة بابله إلى أرض القاش ولم تكن نفسه راضية عن هذا الانتقال.

الْقَاشُ الْبَقِيرُ كَثِيرٌ مَعَاكَ مُوَحَايِلُ
وَنُتْعَدَاهُ مَا دَابَنُو فَكْرُكَ جَايِلُ
بَرْجَاكَ النَّقِيرُ جَايِبٌ لِبَلْبُو الْمُوَمَايِلُ
وَنَزْلُوهُ أَوْلَادُ أَبُونَا الْقَائِلُهُ وَأَصْبَحَ سَائِلُ

شرح المفردات:-

- (١) البقيرو: أبقاره ٢ - موخايل: غير مناسب.
(٢) نتعداه: نذهب عنه ٤ - مادابنو: ما دام.
(٥) جاييل: حائر ٦ - النقير: اسم مكان.
(٧) اللبلب: نوع من نباتات الأرض ٨ - المومايل: الجيد الحسن.
(٩) القايله: ساعة القيلولة.

يخاطب ناقته ويقول لها أن أرض القاش التي تكثر فيها الأبقار وتقل فيها الابل غير مناسبة لك وما دامت غير راضية عنها فلا بد من تركها والتوجه إلى البطانة. وهناك تجددين مكانك المفضل [النقير] وقد كساه نبات اللبلب الأخضر ونجد اهلنا قد سبقونا اليه ونزلوه نهاراً ساعة القاش وهطلت الامطار ليلاً وقد اصبح نباته اخضر يانعا حيث ترتعين مع ابل الاله والأحبة.

ولكن لماذا يعتنون بهذه الابل ولماذا يهتمون بتوفير المأكل لها؟

الْخَلَانِي بَرَدَ الْقَاشُ مَعَاكَ وَاتَّغَرَّبَ
شَايِفُكَ ضَيُوفُ زَمَنِ السَّنِينِ تَتَّكْرَبُ
أَنْشَرَى الصَّيْفَى وَجْهُهُ عَلَيْكَ وَخَيْرُكَ قَرَبُ
لَأَبْدُ نَزْلَهُ فِي اللَّيْلِ الْمَقَامَهُ مَحَرَّبُ

شرح المفردات:-

- ١ - الخلاني: الذي جعلني.
٢ - الصيفي: الأمطار التي تنزل في أول الصيف.

٣ - محرب: نبات المحريب.

ونلاحظ في المقطوعات الشعرية السابقة عمق الرابطة النفسية بين الشاعر وناقته وكأنه يخاطب أعز الناس إلى قلبه.

سباق الجمال:-

من الهوايات المحببة لأهل البطانة سباق الجمال الحره. والجمال الحر له مكانته عند سكان البطانة ونجدهم يصرفون عليه أموالاً طائلة ولذلك لا نجد غربة في أن يتبارى الشعراء في وصف الجمال الجيدة الأصلية هذا شاعر يصف جملة السريع فيقول:

الْخَضِرُ عَنَابِيْفُ الْجَرَى النُّدَّارُ
جَرٌّ جَارِيَاتٌ وَرَاكَ كَايَسَاتٌ خَلَا صُ التَّارِ
بَعْدَ مَا وَضَّلْنَ مَيْسَ الْعِنَاءِ الْحَارِ
جِيَتْ وَجْهَكَ خَلَا وَضْهَرَكَ وَرَأَهُ كُتَّارُ

شرح المفردات:-

١ - اللخضر: صفة لجملة «لونه رمادي».

٢ - عنانيف: مفردا عناف وهو الجمال الحر.

٣ - الندار: النادر.

٤ - كايسات: باحثات.

٥ - التار: الثار.

يصف الشاعر جملة الرمادي اللون ويقول إنه دائما يسبق الجمال الأخرى وها هي اليوم جاءت لتأخذ بثأرها وتسترد كرامتها ولكن عندما وصلت نهاية السباق كنت الوحيد الذي وصل أولا وتركتها خلفك ولم يكن أمامك واحد منها:-

وهذا آخر يصف جملة الذي ما نافسه آخر إلا وانتصر عليه:-

الْكَائِسُ زُبَاكَ وَمَنْ صَبَاحُو مَبْدَرُ
اسْقِيئُوا الْمَرَايِرَ الْحَالَتِ بِتَكَدَرُ
بِالْجَدْعِ الْمَفَاسِخِ وَالْجَرَى الْمُتَحَضَّرُ
فَرَطَ اللَّيْدُو نَفَايَةَ الْهَوَا الْبَسَدَرُ

شرح المفردات:-

١ - الكايس زباك: الذى يريد منافستك.

٢ - نفاية الهوا: عصار الهواء الذى يرتفع عالياً ويهبط مرة أخرى.

يقول شاعرنا

مخاطباً جملة: أن الذى جاء لمنافستك مبكراً أستطعت ان تنتصر عليه
إنتصاراً باهراً ولا غرابة فى ذلك فانت جمل حر تجيد الجرى وأنت على
استعداد له دائماً وأبداً ويصف جملة بأن أرجله تشبه الريح السريعة
التي ترتفع إلى كبد السماء ثم تهبط مرة أخرى ويطلقون عليها اسم
«العصار»

[هذه صورة عامة ومختصرة للابل وقد قصدنا من وصف الابل
ومكانتها عند أهل البطانة أن نخلص لموضوع آخر ومهم وهو سرقة الابل
وكيف ولماذا ومتى تسرق؟

الهمبته

لقد كانت وما زالت سرقة الابل من المشكلات الأساسية التى يعانى منها أهل البطانة بالرغم من انها أصبحت بمرور الزمن مألوفة لديهم .
تعرف سرقة الابل عند أهل البطانة «بالنهيض» ويطلق على الفرد «نهاض» وعلى الجوع (نهاضين) كما تعرف [بالمهجر] ويطلق على الفرد مهاجرى وقد عرفت حديثاً بالهمبته .

يجد الدارس لحياة المهاجرة أو النهاضين تشابهاً واضحاً ولموسماً بينهم وبين حباة شعراء الصعاليك فى الجاهلية أمثال عروة بن الورد والشنفرى والسليك وغيرهم من شذاذ العرب ، غير أن طبقة الصعاليك تعتبر طبقة مندوذة فى أوساط المجتمعات التى ينتمون إليها وذلك لوضاعة اصلهم او خروجهم وتمردهم على نة اليد تلك المجتمعات ، وربما كان دافعهم لهذا النهب والسلب هو الحقد والفقر وتكسير الحواجز الطبقيّة التى تفصل بينهم وبين غيرهم من الناس على عكس جماعة المهاجرة أو النهاضين والذين يجدون احتراماً وتقديراً فائقاً من قبل مجتمعات القبائل التى يعيشون فى أوساطها بل يعتبرون فى بعض الأحيان المثل الأعلى لشبان القبائل . كما أن أكثرهم ينتمى إلى أسر عريقة النسب والحسب ، شديدة الثراء ولكنهم لجأوا لمثل هذه السرقات لدوافع وأسباب عديدة ولعل أشهر القبائل التى اشتهرت بسرقة الابل هى قبيلة البطاحين لقد أنجبت هذه القبيلة الكثير من مشاهير المهاجرة والنهاضين الذين كانت اهم صولات وجولات على طول وعرض سهل البطانة ، مثل عثمان ود النعيم ، والصديق ود التركاوى وطه ود اب ريد ، طه الضير ، وأخيه محمد الملقب «بالجعرى» ، وأب ريد محمد اب ريد ، وإذا استثنينا من هذه المجموعة عثمان ود النعيم ، والصديق ود التركاوى نجد الآخرين جميعهم ينتمون الى فرع العلاماب ذلك الفرع الذى لعب أفراداه دوراً بارزاً فى عالم الدهيخ والمهجر ، دون سائر فروع البطاحين الاخرى كما عرفوا بشدة عنادهم وصلابتهم وتمردهم على كل ما لا يعجبهم أو يروق لهم ويرجع هذا إلى شعورهم وإحساسهم بأنهم فرع زعامة وصدارة منذ أزمان بعيدة وقد انتقلت هذه البسوعة جميعها إلى جوار ربها عدا العم كيقه ود عمران الذى كان نهاضاً خطيراً تجسدت فيه كل صفات المهاجرى الأصل من كرم وشجاعة وعفة شهود لها فأصبح اليوم تقياً ورعاً .

لم تستطع الحكومات السابقة منذ العهد التركى وحتى نهاية العهد الانجليزى أن تحد من نشاط البطاحين فى هذا الميدان رغم التنكيل والقتل الجباعى الذى ألم بهم خاصة فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى .

ولكن بمرور الزمن تقلص نشاطهم وأتجهوا الى أعمال أخرى أكثر ربحاً وأوفر استقراراً ثم برزت قبائل أخرى لم تكن في الازمان السابقة تتطاول لنهب وسلب حقوق الغير، فاصبحت اليوم هذه القبائل أكثر مراسا وأشد خطورة في سرقة الابل من البطاحين أنفسهم.

وإذا سلطنا الضوء على الأسباب الأساسية التي دفعت بهؤلاء المواطنين لمثل هذا المسلك الغريب نجد أنها تتلخص في الآتي:-

١ - يعتقد هؤلاء المهاجرة أن سرقة الابل ضرب من ضروب الفروسية وميدان واسع لهم لممارسة شجاعتهم وذلك لاعتقادهم بأنهم يقومون بأفعال فيها الكثير من المخاطرة والمجازفة، لأن الابل التي تدر أموالاً كثيرة وتعتبر مصدراً إقتصادياً هاماً عند البدويين لا شك سوف تعرض سارقها للقتل أو التنكيل به من قبل أصحابها الذين يعانون متاعب جمة في تربيتها والاشراف عليها فهم بذلك يعتقدون أن مثل هذا الفعل الخطير لا يقدم على فعله إلا صناديد الرجال.

٢ - الضغائن والعداوات التي تنشب بين قبيلة وأخرى، وخير دليل على ذلك المهاجري الكبير الطيب عبد القادر ود ضحويه الذي لم يسلك طريق السرقة إلا بعد ان قتلت قبيلة «الخاوير» أخاه كرازا، وأحرقت جثته بعد ان مثلت بها أبشع تمثيل.

٣ - الحصول على أكبر قدر من المال للصرف منه على الجوارى والعشيقات.

٤ - الفقر في بعض الأحيان يكون الدافع القوي لمثل هذه السرقات كما أن هناك بعض العوامل المساعدة للسرقة يمكن ابرازها في الآتي:-

أ - سهولة الحركة في أرض البطانة وسهولة إخفاء المسروقات عن أعين أصحابها وذلك لاتساع سهل البطانة ووجود الكثير من الأماكن التي تصلح لإخفاء الابل المسروقة.

ب - ان أغلب المهاجرة يتعففون عن سرقة ممتلكات قبائلهم أو جيرانهم مما جعلهم يتسترون عليهم وعلى مسروقاتهم وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الذين لا يراعون حرمة قبيلة ولا جار، إلا ان هؤلاء نجدهم محتقرين إحتقاراً شديداً من افراد قبائلهم والمجتمعات التي يعيشون في أوساطها، وغالباً ما يكون هؤلاء من اصل وضيع ومن بيوت يخيم الفقر عليها.

ج - يختار المهاجرة أوقاتاً معينة لسرقاتهم حيث يتم هذا في بداية فصل «الرشاش» وعندما تهب العواصف الرملية فتمحو آثارهم وآثار الابل

المسروقة فلا يعرف أحد الجهة التى اتجهت إليها مما يعطل طلابها ويجدون متسعا لبيعها.

د - أعتادت أغلب قبائل البطانة على عدم تقديم المهاجرى إلى العدالة (الحكومة) وحتى عندما تثبت عليه التهمة بالدليل القاطع وإنما تلجأ قبيلة صاحب الابل المسروقة إلى قبيلة السارق وتطلب منها دفع قيمة الابل المسروقة سواء كان ذلك عيناً أم نقداً، ويعرف هذا النظام بالسالف وهو الطريق الامثل تقريباً لحل مشاكلهم وقضاياهم حلاً سلمياً دون اللجوء إلى المحاكم، ولا تمنع قبيلة السارق من دفع المقابل وذلك حفاظاً على علاقات الود وحسن الجوار وإخماد نار الفتنة قبل استفحالها، ولا سيما ان قبائل النبطانة على إختلاف مشاربها تربط بينها علاقات حميدة فما دام أن السالف أو العرق الأهلئ هو الذى يحكم فى مثل هذه السرقات أيضاً فهذا عامل مساعد على انتشار السرقة ما دامت عاقبتها ليست السجن على كل حال.

هـ - الهلع والارهاب الذى بثه هؤلاء المهاجرة والنهاضون فى نفوس المواطنين جعلهم لا يجرأون على الارشاد عن الابل المسروقة حتى ولو رأوها تمر أمام أعينهم الشئ الذى ساعد على إعطاء المهاجرة الكثير من الأمان ومما تجدر الإشارة إليه أن زعماء المهاجرة يستقبلون الابل المسروقة من تلاميذهم حيث يوفرّون لها المكان الملائم الذى لا يمكن لعين أصحابها الوقوع عليه ويحتفظون بها حتى يأتى إلى ديارهم أصحابها يسألون عما إذا كان هذا الزعيم أو ذاك قد رأى أو نما الى علمه مكان وجود إبّلهم، وبذكاء حاد وتجربة طويلة يبدأ الزعيم فى مساومتهم ويخطرهم بأنه دائماً فى خدمتهم وأن قبيلته كلها فداء لهم ولكنه يحدد سعراً لكل رأس منها، فهو يعرف مكانها جيداً وأصحابها يعرفون أنه يعرف ولكنهم يفضون النظر عن ذلك فيتم اتفاقهم معه، والغريب فى الامر إن أصحاب الابل بعد أن يعثروا عليها يشكرون الزعيم كثيراً على ما بذله من جهد فى البحث وراء إبّلهم المسروقة فلا يحاولون اللجوء إلى السلطات للقبض عليه أو على تلاميذه وذلك لخوفهم من ان تسرق هذه الابل مرة أخرى بعد ان ساءت معاملتهم مع الزعيم وتلاميذه ونجدهم يرددون دائماً فى مثل هذه الحالات المثل السودانى القائل «المال تلتو ولا كتلتو» فيا ترى هل أنهم مؤمنون ايماناً جازماً بهذا المثل ام انهم فى حيرة من أمرهم إزاء هذا السرطان الذى ظل ملازماً لأجسادهم زمناً طويلاً؟

ليس بالضرورة أن يكون كل المهاجرة شعراء وان كان أغلبهم ينظم الشعر او يحفظه وأن كان الشعر قد رفع من مكانه بعضهم وخلق لهم بطولات قد تكون غير حقيقية.



أغلب المهاجرة لا يتزوجون ولعل وجود خليات كثيرات هو البديل الطبيعي لهذا الوضع وتتمتع الخلية بوضع ممتاز في حياة المهاجرة هذا أحدهم يصف حاله ويقول:-

يُوماً بِي مَجَالِسَ أُمَّاتٍ عُرُوضُ بِنْفَرِّقٍ
وَيُوماً نَحْنُ فِي الْعَقْبَةِ اللَّهْوَبِ بَحَرِّقٍ
يَا مُسِيكَةَ الْبِدْفِ مِنَ الدَّمِيرِ مَشْرِقٍ
بِرْضِيكَ بِي رَدَائِفاً قَلْبِي لِيَهْنَ جَرِّقٍ

شرح المفردات:-

- ١ - أمات عروض: يعنى بها البنات
- ٢ - العقبة: الصحراء.
- ٣ - اللهوب: الهجير وشدة الحر.
- ٤ - البدف: الذى يعوم.
- ٥ - الدميرة: وقت الفيضان.
- ٦ - ردايف: الابل السمينية.
- ٧ - جرق: معتاد ومدرب.

يقول إننا نقضى يوماً كاملاً في مجالس انس مع فتيات جميلات ونمضى وقتنا لهما وسمرنا وقد يمر علينا اليوم الآخر: نحن على ظهور جمالنا القوية نذهب الابل في هجير تحرق سمومه جلودنا ويخاطب خليلته واصفاً إياها «بمسك التمساح القوى الجبار الذى لا يستطيع النهر حتى في أيام فيضانه ان يقوى عليه، بل انه يعوم على عكس تياره ومثل هذا التمساح يكون مسكه عطراً طيب الرائحة» بأنه سوف يسعدها ويرضيها عندما يبيع تلك الابل السمينية.

ويقول شاعر نهاض آخر:-

كَمْ شَدِيدَتْ عَلَى التَّلْبِ الْكَرَازِي أَبْ دُومَه
وَكَمْ قَطَعْتِهِنَّ مِنْ سُنْبَجِه طَالِبَاتِ رُومَه
الرُّوحُ مَا يَتَفَارَقُ الْجَيْتَه قُبَالِ يَوْمَه
يَارَيْتُ كُلَّ نَسْلَمٍ مِنْ فِلَانِه وَلُومَه

شرح المفردات:-

- ١ - شديت ركبت
- ٢ - التلب الكرازي: يقصد به جملة القوى.
- ٣ - رومه: يعنى بها مدينة أروما في شرق السودان.
- ٤ - الجيئة: الجثة.

انه كثيراً ما ركب على جملة ساعيا في البحث عن الابل السمينية لسرقتها

ويعصف كيف يسوق تلك الابل أمامه وهى كثيرة العدد من مدينة سنجة إلى مدينة اروما في شرق السودان، حيث يجد هناك من يستطيع دفع ثمنها وقد تقابله الكثير من المخاطر إلا أنه واثق بأنه لن يموت إلا إذا جاء أجله وهو بهذا يعبر عن عدم خشيته من أصحاب الابل فهو لم يستطع تحقيق رغبات محبوبته ووعوده لها قبل سفره إذ هوجبن وتردد فى نهب الابل. وإذا نظرنا إلى البيت الذى يقول فيه «الروح ما بتفارق الجته من غير يومه» نجده شبيها بقول تأبط شرا:-

وإنى وإن عمرت أعلم أننى
سألقى سنان الموت يبرق أصلعاً
فى المجموعتين السابقتين من الأبيات يتضح لنا مدى أهمية الخلية فى حياة لصوص الابل. ولعل إرضاء هذه المحبوبة هو العامل الأقوى فى دفع المهاجره لمواصلة سرقة الابل. والخليلة وهى امرأة مومس لا تحترم إلا الشجاع الذى يرضيها مادياً وادبياً بين صاحباتها. ونجدهم كما أسلفنا لا يخافون من السجن بل يعترفون بذلك فالسجن والقيد لا يمنعه من مزاولة السرقة مهما كان الازهاق. هذا شاعر نهاض من قبيلة البطاحين يخاطب أحد حكام الانجليز أيام الاستعمار فيقول:-

مَنْ رَمَنَ الْخَلِيفَةَ مَغْلَبُتُوا كُبَارِنَا
قَاطِعِينَ رُوسِنَا وَغَنَمُوا مَالِنَا
فِي الْخَارِهْ أَمْ سَلَاَحاً يَعْوَى نَسْتُرْ حَالِنَا
يَا كَارِلِسْ مُعَذِّبَ بَيْنَا مَالِكَ وَمَالِنَا

شرح المفردات:-

- ١ - الخليفة: هو خليفة المهدي. ٢ - روسنا: رعوسنا.
- ٣ - الحاره الحرب ٤ - كارلس: اسم الانجليزى الذى حاكمه وكان مفتشاً
اشتهر بالغرور والصلف والتشدد فى حكمه.
- ان السرقة ليست شيئاً جديداً عليهم فهذه عادة قد ورثوها عن
أجدادهم الذين فشل خليفة المهدي فى الحيلولة بينهم وبينها بالرغم من
أن الخليفة قد قتل الكثيرين منهم وأخذ أموالهم غنيمة لا ترد ويقول أنهم
شجعان مثل أجدادهم لا تلين عريكتهم حتى عندما تنشب تلك المعارك
الضارية التى تنطلق فيها البنادق داوية كالرعد فلا داعى يا مستر كارلس
أن تتعب نفسك وتشغلها بشئ لا تجنى من ورائه فائدة.

مَنْ رَمَنَ الْخَلِيفَةَ الْحَالَ بَقَتْ مَرْهُونَهُ
وَعُضَامُ شِيَابِنَا رَاقِدَاتٌ فِي الْمَشَانِقِ شَوْنَهُ
بِالْقَيْدِ وَالسَّجْنِ يَا أَحْمُودَهُ مَا بِهِدُونَهُ
نَحْنُ أَخَوَانُ بِرَيْرِيَّةِ الْجُزْوَ الدَّرْفُونَهُ

شرح المفردات:

١ - بقت: أصبحت ٢ - بريرية: ظبية وهي تصغير لكلمة برية.

٣ - مرهونة: طليعية ٤ - الدرفونة: الصغيرة

يكرر الشاعر «النهاض» ما قاله في أبياته السابقة فيقول أن السرقة مألوفة لدى أجدادهم منذ عهد الخليفة الذي قتل الكثيرين منهم حتى صارت رؤوسهم أكواماً تحت المشانق.

ويخاطب صديقه أحمدود ويقول له ان القيد والسجن لا يمنعا ولا يخيفنا من معاودة سرقة الابل، ويفخر بأنهم أخوة فتاة جميلة تشبه الظبية الرشيقة التي ترعى دائماً نبات «الجزو» الذي ينبت في الأرض المنخفضة ويحتفظ بخضرته ويناعته حتى نهاية فصل الشتاء، وتعيش عليه الطباء بدون ماء مدة طويلة لذلك تصبح جميلة وجذابة.

ونجد في أخلاق المهاجرة ثورة عارمة على الأغنياء خاصة البخلاء منهم الذين لا يرحمون فقيراً ولا يبرون قريباً، كما نجد بينهم الحاقد الذي يكره ما عند الآخرين فينتزعه لنفسه انتزاعاً دون أن يفكر في مثل أو أخلاق وقد يكون مال يتيم أو امرأة ليس لها من يعولها ويحميها.

يقول هذا الشاعر المهاجري:-

مَا دَامَ أُمُّ قَجَّةٍ وَارِدَهُ وَسَادَرَهُ بِالْمَسْدَارِ
شَنُّ جَابِرٍ عَلَى الْحَشِّ وَالْمُلُودِ الْحَارِ
إِبْئَلُ الْبَعْثَى مَرِيئُو قَبْلِ الْجَارِ
نُودِيهِ دُورِينَ غَرْبِ سِنَارِ

شرح المفردات:

(١) أم قجة: الناقة السمينة التي ينمو صوفها غزيراً على سنامها.

(٢) وارده وسادر: أي أنها ترد مشارع المياه ثم تذهب إلى أماكن العشب.

(٣) دورين ما يعادل ستة عشر يوماً.

يقول: «ما دام هناك نياق سمينة ذات شعر غزير ينمو على ظهورها المكتنزة بالشحم واللحم نشاهدها كل يوم ترد موارد المياه وترعى في أماكن العشب والكلأ» فما الذى يجبرنا على الزراعة والتعب فلماذا لا نذهب هذه الابل التى يبخل صاحبها عن إطعام جاره من لبنها فى الوقت الذى يهتم اهتماماً كبيراً بتوفير الغذاء لزوجته وأبنائه وحدهم فهذا المالك البخيل لا يستحق أن يمتلك مثل هذه النياق الكثيرة فلا بد من الانتقام منه إنتقاماً رهيباً وذلك بسرقتها منه والاتجاه بها بعيداً نحو مدينة سنار، ومن سنار نذهب بها «دورين» غرباً حتى لا يستطيع صاحبها أن يلحق بها. ومن هنا يظهر لنا كرم المهاجرة وعطفهم على الفقراء وتقديرهم الانسانى للجار والعشير فكأنهم بسرقاتهم هذه يريدون تطبيق الاشتراكية والعدالة فى مجتمعاتهم، يقول أبو الصعاليك عروة بين الورد فى هذا الصدر:

أنى امرؤ عافى إنائى شركة
وانت امرؤ عافى إنائك واحد
أتَهْزَأُ منى إن سمنت وقد ترى
بجسمى مس الحق والحق، جاهد
أقسم جسمى فى جسم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

ويكرر هذا الشاعر النهاص المعنى السابق ويؤكد عدم حب المهاجرة لأصحاب الأموال الكثيرة فيقول:-

يَا سَاتِرْ عَلَى رَجَبِ الْمَهَاجِرَةِ أَلْ لَقُوا
وَيَلْقُوا الْخَتَوَهْ فِي مَالِ الْبُدَانِ يَسْتَقُوا
يَسُوقُوا أَمْ دَانَقْسِ الرَّيْشِ الْهَبُوبُ بَرَّقُوا
وَيُصْبِحُ سَيِّدَهُ يَحْمَشُ فِي التُّرَابِ وَبُسْفُو

شرح المفردات:

١ - الركب: الجماعة من الناس على ظهور الجمال.

٢ - الختوه: التوفيق ٣ - البدان: الأغنياء.

٤ - أم دانقس: الناقة السمينة ٥ - برقو: تتلاعب به.

يسأل الله أن يعطف على ذلك الركب من المهاجرة الذين ركبوا جمالهم بحثاً وراء الابل لسرقتها لكى ينتقموا لأنفسهم والفقراء من إخوانهم ويجعلوا أصحاب تلك النياق السمينة التى تتلاعب الرياح بأوبارها من

شدة شحمها يسفون التراب أسفاً وندماً على فراقها.
 بالرغم من هذه النزعة الشريرة الا اننا نجد المهاجرة لا يفضلون
 السرقة من قبائلهم وجيرانهم ولكن، هذا لا يمنع من وجود بعض الشواذ
 الذين لا يراعون حقوق الجار والقبيلة، كما سبق وقلنا فنجد هذا النوع
 مكروهاً في اوساط «المهاجرة» حيث يعتبرونهم عالة على مجتمعاتهم ومسيئاً
 لسمعتهم لانهم جنباء لا يبذلون كثير عناء في سرقاتهم.

كَمْ شَقِيتْ غُرْبَةً فِيهَا بَقَلْبٌ لُونِي
 وَكَمْ بَارَيْتْ جَنِيناً فِي الْخَلَا بِشُورُونِي
 رِدِّي بِيَعْدُوا أَصْحَابِ سَاخْتِي مَا بُرْبُونِي
 كِرَاعِي تَقِيلُهُ بَحْرَتِ كَفِّي شِنْ لِحَقُونِي

شرح المفردات:-

- (١) بقلب لوني: يغير هيئته ويتنكر.
- (٢) باريت: سافرت مع، صادقت.
- (٣) جنيناً: فتية.
- (٤) بشوروني: يسمعون نصائحى التى إقدها لهم.
- (٥) كراعى: قدمى «يعنى الثبات»
- (٦) بخرت كفى: يريد أن يقول أنه لا يهرب من الذى يلحق به بل يحاربه بشراسة.

عندما يريد المهاجرى أن يسرق إبلاً من آخر يكتم الأمر كثيراً فلا تعرف
 نيته ومقاصده. فيبدأ في تغيير هيئته حتى لا يعرفه أحد وقد يخبر بأنه
 ذهب الى مكان آخر غير ذلك الذى يقصده حقيقة.

يقول انه لا يسرق من مكان قريب او من جيرانه، بل يسافر بعيداً
 ليسرق جمال القبائل الأخرى واذا وقع في أيدي اصحاب الابل المسروقة
 فإنه لا يخافهم وانما يقف بصلافة ضدهم ولا. شجاع وقوى فلا يهاب
 الضرب والحرب ولا تعرف أقدامه الفرار امام الاعداء.

ويحدثنا «هذا المهاجرى» عن اهمية الزعامة في مهنة السرقة (كم باريت جنيناً في
 الخلا بشوروني) فهو دائماً يختار اصدقاءه من الذين يطيعون أوامره بل ينفذون كل
 ما يأمرهم به، لأن الخلاف يؤدي إلى أشياء لا تحمد عقباها فإن كان المهاجره اليوم
 يختارون من أوساطهم زعيماً وقائداً ينظم سير العمل ويكون خبيراً بمسالك الصحراء
 ودروبها. فقد كانت هذه الزعامة موجودة عند شعراء الصعاليك فلنقرأ لهذا الصعلوك
 ينذر أعداءه ويتوعدهم بأنه سوف يغزوهم برفاقه الذين لا يهابون الموت.

فان أثقفتمونى فأقتلونى
فأبرح غازياً اهدى رعيلاً
ويبرح واحد واثنان صحبى
بفتيان عمارط من هزيل
وأبرح فى طوال الدهر حتى
يكثر نشاط المهاجرة غالباً فى الفترة التى تسبق فصل الخريف بقليل «الرشاش».
ففى هذه الفترة بالذات تشتد الرياح والعواصف التى تهب على سهل البطانة من جهة الجنوب وهى رياح ضارية مليئة بالأتربة، هذه الرياح تساعد على أخفاء آثار الابل المسروقة، ففى هذا الوقت بالذات تكون المراعى قرب الدمرقد شحت فتهرب الابل من أصحابها فى جماعات باحثة عن اماكن العشب الشئ الذى يسهل على «المهاجرة» إقتناصها وسرقتها بعيداً عن اعين اصحابها.
هذا مهاجرى هبت عليه تلك الرياح فنادى زميله فى المهنة المسمى «ود التكىت» قائلاً:-

يَاوَدَ التَّكَيْتِ طَلَقْنِ هَبَايِبَ جَبْرَه
وُسَيْدَ أَمِ قُجَّه مِنْ الرَّادَى خَانِقَه الْعَبْرَه
الشَّائِلَ فَرِيرِيْرُوْ وَمَقْوَى الْكَبْرَه
بِنَشْهِيْهِ سَوْقِ سِتِ السَّرَا الْمُتَبْرَه

شرح المفردات:

- ١ - ود التكىت: صديق الشاعر
- ٢ - هبايب جبره: الرياح التى تهب فى بداية الخريف من جهة الجنوب.
- ٣ - الرادى: اسم جملة كناية لسرعته.
- ٤ - فريريرو: تصغير لكلمة «فرار» ويعنى بها الفأس.
- ٥ - ست السرا: الناقة السمينة، والسرا هى السراة «لحم الظهر بالقرب من الاضلاع».

يخاطب زميله «ود التكىت» ويذكره بأن وقت السرقة قد حان لأن الرياح الجنوبية بدأت تهب فى ضراوة مبشرة بقرب فصل الخريف، ويؤكد لصديقه أن تلك الابل السمينة التى أعتاد صاحبها ان يحفظها داخل «الزرائب» خوفاً عليها من الحيوانات المفترسة واللصوص سوف نسرقها جميعاً وسوف يلقن جملة «الرادى» صاحبها درساً لا ينساه فكلمة «الرادى» كناية لسرعة هذا الجمل وأصالته، كما برزت أيضاً الصورة الساخرة التى رسمها لصاحب الابل «الشائل فريريرو» ولكنه عمد من التصغير إلى التقليل من قيمة الشخص نفسه.

التاجر العادى عندما يضع رأس ماله فى تجارة ما يكون شديد الحرص على العائد الذى يجنيه من وراء ذلك مع حرصه على رأس المال ذاته ولكننا نجد المهاجرى أكثر قناعة فلا يهتم بارتفاع وإنخفاض أسعار الابل التى يسرقها، ويرجع ذلك فى الغالب الى شعوره بقلة الجهد الذى بذله فى الاستيلاء على هذه الابل وهذا هو الأرجح خوفاً من ان يلحق به اصحابها، إذا هو تباطأ فى بيعها فيعمل على التخلص منها بأسرع فرصة وبأى ثمن. يقول عبد المنان عبد الماجد ابو ناجمة الملقب «بود الشيخ» وهو مهاجرى شهير.

أَبْ قَنْفَ اللَّفْجِ كُوعُو وَسَمِخْ تَضْرِيْعُو
عَسْرَاتِ اللَّكْبِ حَى الشَّقُوْقْ بِشْرِيْعُو
كُلْ غَامِرًا مَرَا جِى السُّوْقْ بِفِكَ تَقْرِيْعُو
نَحْنُ قَرَانَا رَى مَا يَتَفَقُ بِنَبِيْعُو

شرح المفردات:

- ١ - أب قنف: الجمل الطويل
- ٢ - اللفج كوعو: بعيد الأرجل عن زوره.
- ٣ - التضريع: المشى السريع.
- ٤ - عسرات: رجل الجمل الأمامية
- ٥ - اللكب: على المؤخرة منخفض الصدر.
- ٦ - القران: مجموعة من الابل تربط رقابها سوياً.

يصف لنا جملة بأنه طويل وسريع تتباعد أرجله الأمامية عن زوره دلالة على قوته وأصالته وسرعته الفائقة، فتخيف وتريع هذه الأرجل ما بداخل شقوق الأرض من هوام وجملة هذا السريع وهو على ظهره سوف يكون سبباً فى حرمان صاحب الابل من بيعها والاستفادة منها وإنه لا يهتم بالتمن والسعر الذى يبيع به هذه الابل فهو يبيعها كما «يتفق».

يتحدث المهاجرة فى أشعارهم عن فرارهم وهروبهم من الأعداء وهم بذلك لا يشعرون بأذى عيب أو عار.

يقول ود الشيخ نفسه:-

عَقَبُ الدَّنْدَرِ الْغَيْبِ وَمَنْوَى شَرُوقِ
وُرُكْزِ الْعُقْبِ حُرُوقِ جَدِ أَبَوِ الْبَرْقُوقِ
يَا الْخَلِيَّتِ الْوَرَاكِ سَافِ الْوَطَى وَمَحَرُوقِ
كَبِ آخِرِ إِيْدِكَ يَا الْحُورِي الْجَلْبِ مَشْرُوقِ

شرح المفردات:

- (١) العقب حر: نسبة معروف.
- (٢) البرقوق: اسم جمل
- (٣) الحورى: صفة لجمله.
- (٤) الجلب: الابل التى يراد بيعها.

يقول أنه عقب نهر الدندر عند مغيب الشمس وهو متجه شرقاً وهو على ظهر جملة الحر الذى ينسب إلى «البرقوق» جده المشهور وكان يسوق أمامه عدداً لا يستهان به من الابل، قد ترك أصحابها محروقي الوجدان ويطلب من جملة أن يسرع الخطى لأن تلك الابل مسروقة ولا بد من بيعها سريعاً.

أعتاد صعاليك العرب القدامى الفرار من وجه أعدائهم وكثرت احاديث فرارهم وهروبهم في كثير من اشعارهم فلا غرابة في ذلك فالفرار من وجه الأعداء يتيح لهم الفرصة مرة أخرى لتحقيق اهدافهم واغراضهم الاجتماعية والاقتصادية ولا يعتبر الفرار في شريعتهم جبناً ولا خوفاً من الأعداء.

يقول تأبط شراً:-

ورأى نحل في الخلية واكنأ
ولم أك بالشد الذليق مداينأ
وقلت تزحزح لا تكونن خائناً
هجف رأى قصراً سمالاً وداجنأ

ولم انتظر أن يدهمونى كأنهم
ولا أن تصيب النافذات مقاتلي
فأرسلت مثنيأ عن الشر عاطفاً
وحثحث مشعوف النجاة كأئنى
ويقول أبوخراش الهذلي:-

أفر وأرمى مرة كل ذلك
وانجو اذا ما خفت بعض المهالك

وان تزعمى أنى جينبت فاننى
أقاتل حتى لا ارى لى مقاتلاً

أنظر إلى هذه الابيات وقارن بينها وبين رباعية «ود الشيخ» السابقة فانك لا شك واجد تشابهاً واضحاً في أحاديث الفرار والهرب من وجه

الأعداء بين أفراد الطائفتين طائفة الصعاليك الأولى وطائفة المهاجرة الحالية.

لا يسلم أصحاب الابل من أحقاد المهاجرة وإنتقاماتهم السريعة إذا لجأوا لأخذ حقوقهم منهم بواسطة العدالة والمحاكم،
اقرأ لهذا المهاجرى يتوعد احد ملاك الابل بعد ان تسبب في سجنه:-

اللَّيْلَةَ السَّجْنَ جَابِلُوا انكِتَامَهُ وَحَرَّهُ
وَنَحْنُ جَرَارِقُوا يَا سَاتِرٌ عَلَى نَاسٍ بَرَّهُ
الْوَلَدُ الْبَعَثِيهَا وَيَتَنَّى الْجَرَّهُ
يُخْبِر لِي مُرَاح حَسَبَ اللَّهِ وَين مَا قَرَّهُ

يقول هذا المهاجرى ان السجن فقد الهواء الطلق واشتدت حرارته ولكن هذا ليس بالشئ المهم لأنه اعتاد عليه من قبل، ولكن الويل للذين هم خارج الأسوار «يعنى الذين قدموه للمحاكمة» ويخاطب زملاءه من المهاجرة والذين هم خارج أسوار السجن، أن يتأكدوا ويخبروه عن مكان وجود ابل «المدعو حسب الله» لكى يعد العدة لسرقتها بمجرد خروجه من السجن.

إذا كنا نعتقد ان سرقة الابل عيب وعار على فاعلها فنظرة المهاجرة مغايرة لهذا كثيراً، فهم لا يرون فيها عيباً أو عاراً بل يعتبرونها منتهى الرجولة والشجاعة، هذا سليمان ادريس على الضو الكمالابى يقول:-

مَانِى الْخَائِبِ الدَّائِمَا بِقَوْلٍ سَوَّيْتُ
وَمَا نَهَرُونِى عَنْ سَاعَةِ السَّوَالِ قَرَّيْتُ
إِنْ بَرَدَنْ قُرُوشَ مَانِى الْبَخِيلِ صَرَّيْتُ
وَإِنْ حَرَنْ بُكَارَ مَا هِنَ صَفَائِحَ زَيْتِ

شرح المفردات:-

١ - مانى: لست ٢ - سويت: فعلت

٢ - قرئت: اعترفت ٤ - بردت: أصبحت ملكاً له.

٥ - البكار: مفرد ما بكرة وهى الحقنة من الابل.

يقول انه ليس من الحقارة والتفاهة بحيث يقول فعلت كذا وكذا فهو لشجاعته لا يعترف أمام رجال العدالة مهما نهروه أو ضغطوا عليه

للاعتراف. وأن الابل التى يسرقها إذا باعها وأصبحت قروشاً فهو لا يبخل على الآخرين ولا يكس تلك الأموال اما إذا قبض عليه فإنه لا يشعر بعار ولا يؤنبه ضميره، ذلك لأنه لم يسرق شيئاً حقيراً مثل «صفائح الزيت» وإنما هى إبل وليست سرقتها بالشئ السهل لكل من هب ودب. وهذا آخر يحدثنا بأن كسب الرزق عنوة أفضل بكثير من حياة الذل والهوان.

مَصْرُوفَ الْبَنَاتِ وَالْكَيْلَةَ
فُوقَكَ يَا هَجِينَ الرَّدْفُولُو التَّيْلَةَ
عَيْشَةَ الْقَوَى أَحْسَنَ لَيْنَا مَا هَا ذَلِيلَةَ
مَا بَتَدْرِيكَ أَلْ مِنْ اللَّهِ جَائِهِ نَزِيلَةَ

شرح المفردات:

- ١ - الكيلة: المصاريف والغذاء.
- ٢ - الردفولو التيلة: كثرة عدد العقود على عنق الفتاة.
- ٣ - نزيلة: مقدرة.

يقول مخاطباً جملة بأن يستعد لتحقيق رغبات فتاته الجميلة التى يحبها تلك التى تزين عنقها بالذهب والخرز النادر فهو لا يستطيع تحقيق مطالبها إلا عن طريق سرقة الابل. ثم يقول إن عيشة القوة خير له من أن يعيش ذليلاً حقيراً فلا داعى للخوف ما دام للانسان اجل محتوم. ومن المهاجرة من دفعه الفقر مضطراً لممارسة هذه المهنة وهو غير مقتنع بمبادئها.

دَرْدَرْنَى الْفَقْرَ لَأَمِنْ بَقِيَتْ شَنْكِيتْ
وَدَّنَى الْغَبَائِنُ لِي جِبَالْ فَرْتَيْتْ
أَمَّا جَبَيْتْ مَالاً فَرَحُ أَمْ سَوْمِيَتْ
وَأَمَّا فُوقُ جِبَالْ تَقَلِّ انْجَدَعُ مَا جَيْتْ

شرح المفردات:

- ١ - دردرنى الفقر: أشقانى الفقر ٢ - الغبائن: الغبن
- ٢ - شنكيت: كبير ٤ - أم سوميت: يعنى بها محبوبته

يقول ان الفقر قد أتعبه كثيراً وأن الغبن جعله يترك دياره ويذهب بعيداً طالباً للمال والكسب فهو أما أن يكسب مالاً وفيراً ترضى به محبوبته ويحسن به أوضاعه الاقتصادية السيئة، وأما مات وهو بعيد عن أهله وعشيرته في جهات جبال «تقلى» وكأنه بذلك يجارى عروة بن الورد في قوله:-

فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
أو قوله:-

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح
نجد المهاجرة يأنفون عن القيام ببعض المهن مثل الرعى والزراعة
والخدمة داخل المنازل ففي نظرهم أن مثل هذه المهن لا يقوم بها إلا
النساء وضعفاء الرجال.
يقول أمير «المهاجرة» ود ضحويه:-

مَآنى التَّمَلُّلُ أَلْ فى البَيْتِ شُغْلْتُو حَلِيبِ
بَدَوْرَ الشَّيْثَةِ فَوْقَ إِبِلًا شَوَافِى وَنَيْبِ
إِنْ حَرْنٌ مَنَحْتَ الشُّكْرَهْ مَا بِنَعِيْبِ
وَإِنْ بَرْدَنْ يَنْكَافِيْبِنْ سَوَالِفِ أَمْ طَيْبِ

يقول ود ضحوية انه ليس مثل ذلك الرجل الحقير الذى يقضى ايامه كلها فى رعى الأغنام وحلبها. فهو رجل شجاع يركب دائماً على ظهور الابل القوية لينهب بها ابل الآخرين، وهذه الابل التى يسلبها وينهبها إذا الحق بها أصحابها فى الخلاء سوف يحاربهم حرباً لا هوادة فيها، ولا يمكن أن يفعل شيئاً يجلب عليه العار مستقبلاً. وإذا أصبحت تلك الابل من نصيبه فسوف ينفق أرباحها على تلك المحبوبة التى أحسنت اليهم كثيراً.
أنظر إلى قول أمير المهاجرة «مآنى التملل فى البيت شغلتي حليب»،
وقارن بينه وبين قول هذا الصعلوك:-

ولست براعى ثلة قام وسطها
طويل العصا عرنيق ضحل
أعتاد بعض المهاجرة السرقة من أماكن خاصة ومن قبائل معينة ويرجع ذلك للاحقاد والضغائن التى تنشب بين قبيلة وأخرى.

هذا أحدهم ينذر ويتوعد بأنه سوف يسرق ابل قبيلة تقطن جبل
كسمور في جنوب سهل البطانة.

مَسَارِيًّا عَلَى كَسْمُورَ بَجَنَ قُطَاعُ
مَرَادِيْفَ كُلْهَنَ مِنَ الصَّعْبِ لَطَاعُ
قَامُولِينَ جَنِينًا فِي الطَّلَقِ بُتَاعُ
بِكَافُوبِينَ سَوَالَفَ الْعَقَرِينَ لَطَاعُ

شرح المفردات:-

(١) مراديف: سميينة.

(٢) الطائع: هو الجمل الاليف عكس الصعب

(٣) لطاع: لاسع.

يقول ان الإبل السميينة بدأت تظهر في مجموعات صغيرة ومتفرقة
بالقرب من جبل كسمور، وهذه الإبل كلها سميينة ترادف شحمها ولحمها
وقد قام لسرقتها شبان أقوياء مدربون على السرقة وهو يعنى بهذا نفسه
وأصحابه. ويؤكد أنهم سوف يصرفون ما تدره من أموال عليهم على تلك
الفتاة التى شغفوا بحبها وغرامها فهم لا ينسون ما قدمته لهم من خدمات
جليلة.

ولكن أحد شعراء «كسمور» وهو فيما يبدو صاحب ابل رد عليه
متوعداً:

الدَّشْرُ الْمَسَارِيَّ وَادْرَتَتْ عَطَافَتُو
اسْتَامَنَ خَلَاضُ مِنَ الْقَرَانِ وَمَخَافَتُو
الدَّائِرُ فُرَاقُ مَرْتُو وَثَرِيمَ طَافَتُو
أَلْ يَمْرُقُ عَلَى كَسْمُورَ بِخَرْبُوا قِيَافَتُو

شرح المفردات -

١/ دسر يعنى بها الدس

٢/ ادرفت رجعت إلى أماكن الدمر.

٣/ عطافتو جمع عطفة وهى الهودج.

٤/ خافة كيس من الحلد محشو بالصوف يوضع بين ظهر البعير والسرّج

يرد عليه صاحب الإبل فيقول أن الإبل التي تشير اليها وتريد سرقته
في مأمن ودونك وإياها السماء، فقد رجع بها أهلها وهي سميكة الى أماكن
دمرهم، كما أنهم شديدي الحرص عليها، فإذا أردت أن ترمي زوجتك وتيتم
أولادك وتحضن كالمراة «طافة» بعيرك فأذهب إلى جبل كسمور وهناك سوف
تلقى حتفك لاشك.

وكما ذكرنا سابقاً أنه يوجد في أوساط المهاجرة صنف دخيل على هذه
المهنة يتصف بالجبن ويلجأ في سرقاته إلى الغدر والمباغته فهو عندما
يقبض عليه أصحاب الإبل في الخلاء بعيداً عن الناس، يمثلون به أبشع
تمثيل، حيث يجلدونه بالسياط ويأمرونه أن يرقص كالمراة أو يروم «طافة»
بعيره أى يحتضنها كما تحتضن الأم صغيرها في حنان، فالرقص والارامة
سفتان اختصت بهما المراة وعندما يفعل مثل هذه الأفعال يكون قد
أسلخ من زمرة النهاضين بالتالي يضمن أصحاب الإبل أنه لن يعاود
السرقة مرة أخرى.

انذار آخر من صاحب الإبل:

الولدُ البُدورُ قَطَعَ الْكَرَاعَ وَالرَّاسَ
بِرَضُو أَلْ يَبْقَى لِي طَوَالَ النَّدِيْبِ قَنَاصُ
جَنْباً إِنْ سَجَبُوكَ فِي صَيِّ بِي قَرَاصُ
جَنْباً إِنْ رَقَصُوكَ وَأَسَامْعُوبَ النَّاسُ

يرد صاحب الإبل على ذلك «المهاجري» ويقول له إذا أردت أن يقطع
رأسك وأرجلك في وقت واحد. فكن دائماً قناصاً وسارقاً لإبل الآخرين
فسوف تقع وقعة سوداء وتعانى أحد الأمرين. أما أن يمزق جسمك
بسيف حاد وترمي جثتك في الخلاء، وأما ان تجلد بالسياط ويجعلك
صاحب الإبل ترقص أمامهم كالمراة. وهذا منتهى العار خاصة اذا انتشر
الخبر وعم البادية والادهى والامر ان تسمع محبوبتك بذلك.

ان أدب المهاجرة والنهاضين لكثير جداً يحتاج لدراسة متخصصة إذ
ان فيه الكثير من الموضوعات الجيدة ولم نقصد من إيرادنا لهذه
المقطوعات السابقة الحديث بأسهاب وتفصيل عن هذا الموضوع وإنه
هى نماذج فقط لشعر نادر يتعلق بموضوع غريب على المجتمع السوداني.

شغبه أميرة شعراء البطانة

لا يملك المرء إلا أن يحترم هذه المرأة الفنانة العظيمة، التي نصبت من نفسها أميرة على قومها، في وقت كان فيه أبطال قبيلتها من الكثرة بحيث لا تحصيهم ذاكرتها، والتي يدل شعرها دلالة كبيرة على مدى عظمتها وقوة شكيبتها.

تنتمى شغبه إلى قبيلة الكواهل فرع الشدايده، وقد تزوج بها أحد أفراد قبيلة المرغاب والتي هي فرع من فروع الكواهل العديدة ويسمى زوجها «ود قلش» كما تزوجت شقيقتها «علايه» من أحد أفراد قبيلة البطاحين وولدت الشيخ برير أحد فرسان البطاحين وكان قوى الشكيمة صلب العود وكأنما قد قلبه من حجر ولابن أختها هذا دور فعال في تاريخ حياة شغبه وأثر تأثيراً واضحاً، سنراه فيما بعد ولقد ذكرناه هنا مسبقاً ليكون معروفاً لدى القارئ.

لقد كتب البعض عن شغبه ولكنهم لم يصيبوا كبد الحقيقة، وحتى لا نقع في ذات الخطأ فقد استقينا معلوماتنا من السادة المذكورين أدناه وهم من قبيلة الكمالات:-

- ١/ الشيخ أحمد علي كرف - من كبار رجالات القبيلة
- ٢/ الشيخ أحمد عوض الكريم - شيخ قبيلة الكمالات
- ٣/ حسن النور على - من زعماء القبيلة

وكذلك كل من السادة افراد قبيلة المرغاب وهم:

- ١/ سر الختم عبد القادر - من زعماء القبيلة
- ٢/ عبدالله حمد شوراني - شيخ القبيلة وشاعرها
- ٣/ سليمان علي سليمان - من كبار رجالات القبيلة

ولعل إرتباط شغبه الوطيد بزوجها ود قلش لحبها له وحبها لها هو الذي جعلها ترتبط إرتباطاً رائعاً جسداً وروحاً بقبيلة المرغاب، وتقتصر إلى حد بعيد مدحها عليهم وفخرها بهم وحدهم، دون القبائل الأخرى حتى قبيلتها التي انحدرت منها. وكانت شخصية شغبه قوية لدرجة بعيدة، فيها سمات رجولة ظاهرة ولم تكن كالنساء في لطفهن، بل كانت شعلة من النشاط

والحيوية والشجاعة والذكاء والإقدام، ولم تأبه لشيء حتى ألفاظها كانت وكانت شغبه مثيرة للحروب بين القبائل، فبيت من شعرها يفعل فعل السيف البتار، أن كان موجهاً ضد عدوه ديانته، وإن كان لفرسان قبيلتها أشعل فيهم الغيرة والحماسة ولعل أقسى معركة حدثت لها هي تلك المعركة الطاحنة التي دارت بين قبيلة البطاحين وقبيلة المرغماب، تلك المعركة التي أدت إلى سفك الكثير من دماء الشبان والشيوخ.

وفي هذه المعركة هجم الشيخ برير بن أختها «علاية» يقود فرسان البطاحين الأقوياء على قبيلة المرغماب، وهزمهم شر هزيمة، حيث قتل في هذه المعركة زوج شغبه ود قلش وابن لها يدعى نائل وسقطت جثة زوجها أمام ناظريها، فملاً الغضب صدرها وأكلت الحسرة روحها، وكانت المعركة ضارية قوية ثبت لها الفرسان من الجانبين وكانت شغبه تقف مشجعة لفرسان قومها، ولكنها عندما رأت زوجها يسقط من فرسه حز الألم في نفسها فقالت:

كُزْ يَا نُوحُ مَنْ دَا الْخُرَابُ
عَجَبُ عَيْنِي تَأْكُلُ فِيهِ الْكَلَابُ
وَدَّ دَقْلَشُ مَيْحُ مَنْ الرِّكَّابُ
أَخِيرُ دَامِنْ قَوْلُهُ جَفَلُوا الْمُرْغَمَابُ

شرح المفردات:-

- ١/ كر: لفظ تقوله النساء للإستنكار عند سماعهن أو رؤيتهن لموقف رهيب
- ٢/ يانوح: تستنجد بسيدنا نوح عليه السلام.
- ٣/ عجب عيني: قرة عيني تعني بها ابنها
- ٤/ ود دقلش: زوجها
- ٥/ ميح: فقد توازنه على متن الفرس
- ٦/ من الركاب: من ركاب فرسه أو سرجه أو ظهر فرسه
- ٧/ أخير دا: هذا خير
- ٨/ جفلوا: هربوا وتركوا المعركة

تقول شغبه إن قرّة عينها وتعنى به ابنها أصبح جثة هامدة تنهش الكلاب لحمه، أما زوجها ود دقلش فقد فقد توازنه على متن فرسه الذى هرب به وهو ميت على ظهره وشغبه تشاهد هذا المنظر المؤلم المحزن إلا أنها ظلت قوية ثابتة القلب فموت زوجها وإبنها أفضل عندها بكثير من أن يقال ان أفراد قبيلتها قد هربوا من ميدان المعركة. وتصور لنا شغبه فى هذه الأبيات مدى شجاعة زوجها وفرسان قبيلتها وتصف فى ألم كيف ثبتوا للحرب بكل ما يملكون من قوة حتى صرعهم الأعداء وصرعوا هم منهم من صرعوا.

يقال والعهد على الرواة أن البيت الأول من هذه القصيدة قالته امرأة أخرى كانت تنافس شغبه فى الزعامة، ويعلل الرواة قولهم هذا بأن شغبه لا يمكن أن تقول «كر» لأنها كلمة خاصة بالنساء ودليل على الضعف والخنوع، وكما أسلفنا سابقاً أن شغبه ليست كعامة النساء وأن كانت كذلك لما خلد التاريخ إسمها حتى الآن. ولما استطاعت أن تقود الجيش وتتزعّم الرجال ولكن ما أن قالت المرأة البيت الأول حتى أكملت شغبه بقية الأبيات لتثبت مدى قوتها وجبروتها.

وتنتهى المعركة بما أنتهت به، والآلام تأكل قلب شغبه وترى الوادى «عديد نوير» أغبر وعمه الخراب ولكنها قادرة على إعادة كرامتها وكرامته له، فنظرت اليه وقالت:

يَقْنُ لِي خَرَابَكَ يَا عَدِيدَ نَوِيرٍ
رَاحُوا النَّائِرِينَ فَضَلُّوا الْبِمَا سَحُوا الْكَيْلِ
وَدُّ دَقْلَشَ يَكْفِي لِي هَوَايِدَ اللَّيْلِ
وَدُّ نَوَايَ كَتَلُ فَارَسِ التَّقِيلِ أَمْ حَيْلُ
شُغْبِهِ وَيَنْ تَقْبَلُ بِي كَبِيرَةَ الضَّيْلِ

شرح المفردات:-

- ١/ يقن: اصبر تيقن
- ٢/ عديد نوير: العد وهو مورد المياه وعديد نوير هو مكان الماء الذى ترد اليه الابل ولعلها كانت تنزل به مع قومها.
- ٣/ النائرين: ذو الوجوه البيضاء الشجعان.
- ٤/ البماسحوا الكيل: المترددون
- ٥/ هوايد الليل: آخر الليل دليل على كرمه أى أنه يستقبل ضيوفه لوقت متأخر من الليل.

٦/ ود نواى: احد فرسان القبيلة

٧/ وين تقبل: أين تذهب

٨/ كبيرة الضيل: ناقتها كبيرة الضرع الوفير باللبن.

تحدث شغبه في الأبيات السابقة مورد المياه، وتطلب منه أن يرضى بما آل إليه حاله فقد أصابه الخراب لأن الفرسان الذين كانوا يحمونه من الأعداء قد ماتوا وذهبوا، وبقي من القبيلة المترددون الذين ليست لهم الشجاعة ولا المقدرة لرد كرامته التى سلبها آياه فرسان البطاحين وزوجها الذى كان يستقبل الضيوف قد مات وكذلك ود نواى الفارس الذى تعتمد عليه القبيلة، فأين تذهب شغبه آمنه بنياقتها ذات الضرع الكبير؟ تريد شغبه بهذا أن تلهب مشاعر رجال قبيلتها وتحثهم على أخذ ثأرهم من قبيلة البطاحين وتذكر زوجها وحاميتها ود نواى فارس الثقيلة أم حيل وتفعّل كلمات شغبه فعلها فتثير الحماس في قلوب من تبقى من فرسان قومها. وقد حدث أن «حمد المليحابى» وهو أحد فرسان المرغاب آله ان تنتهى قبيلته مثل تلك النهاية المفجعة فشد رحاله بعد تلك المعركة الضروس الى قبيلة الامرار التى كانت تسكن في مكان يقال له «الباك» وطلب منهم أن يساعده في أخذ الثأر من قبيلة البطاحين، وتقول الرواية ان حمد المليحابى مكث في ديار الامرار عامين لجمع الفرسان والشبان استعداداً لليوم الموعود، وقد جمع كما يقول الرواة سبعة آلاف فارس من شبان الامرار الأقوياء وقد إشتراط فيهم أن يكونوا من شاربى التمباك لأن شارب التمباك يكون أشد ضراوة في قتاله من ذلك الذى لا يتعاطاه. و عاد المليحابى بذلك الجيش العرمرم نصره قبيلته التى أخذ البطاحين عزتها وثروتها ومرغوا كرامتها بالأرض واستطاع حمد المليحابى أن يعقد لواء النصر لقبيلته، وفي هذه المعركة الذرية استطاع ان يهزم اعداءه هزيمة نكراء تحدثت عنها الاجيال، وقتل الكثيرين من فرسانهم وأخذ إبلهم ورجع بها وفي ركابه الشيخ برير حياً أسوراً كما طلبت شغبه ان يأتوها به حياً لتأخذ ثأرها بيدها، وقد حقق لها حمد المليحابى تلك الرغبة، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى عظمتها في قومها وتأثيرها عليهم.

وبالرغم من ألم شغبه وحسرتها على فقد زوجها وولدها وخيرة شبابها وفرسان قبيلتها في هذه المعركة الطاحنة، إلا أن شغبه الشجاعة لم تتنكر لشجاعة أعدائها «العركشاب» الذين صمدوا صموداً فاق تصورها

تصفهم في نفس الوقت الذى تصب فيه جام غضبها وإحتقارها مخلوطاً
بإعجابها بهم فتقول:

دُبُّ الْعِرْكَشَابِ وَكُتَا يَلُوكُوا الْمُرَّ
تَدَبَّتْ لِلْكَتَالِ مِثْلَ الْكُبَاشِ الْغُرَّ
يَدْعُوكُوا عَلَى الصَّفِّ الدَّمِيهِ تَخْرُ
وَيَصْفُ لُونٌ مِثْلَ دَهَبِ الْجُمَارِ الْحُرِّ

شرح المفردات:-

- ١/ دب: اسم فعل أمر بمعنى «أخسأ» وآخرون يقولون «تب» بدل دب.
٢/ تدبت: تثبت ٣/ الكتال: القتال.
٤/ الكباش الغر: تعنى الكباش الذى فى جبهته غرة بيضاء.

تقول شغبه:

أن فرسان العركشاب عندما يدخلون المعركة فانهم فى صدامهم
يستبسلون ولا يتراجعون أبداً، وهذه دلالة على أن فرسان قبيلتها هى قد
ثبتوا فى المعركة، وكل من الطرفين لا يترك مكانه حتى يهزم الطرف الآخر.
وتسترسل فى وصف العركشاب أعدائها فتقول انهم حتى فى ساعات
الوغى يتسابقون على صفوف القتال كل يريد أن يسبق الآخر نحو العدو
ولعل أجمل وأعظم مواقفهم، أنهم حتى فى تلك الساعات الرهيبة لا يظهر
الخوف على وجوههم بل تبقى صافية كالذهب لا يغيرها وجل القتال ولا
صليل السيوف ولا جداول الدماء النازفة

والعركشاب فرع من فروع البطاحين اشتهر أفرادها بالكرم والشهامة
كما عرفوا بضرارتهم فى القتال وإستبسالهم فى المعارك. وليس هذا معناه
أن العركشاب قد دخلوا المعركة وحدهم ضد قبيلة المرغما ففقد إشتراك
الفروع الأخرى فى هذه الحرب خاصة فروع العسافاب والعبادلة
والعلاماب.

عندما رأت شغبه فرسان قبيلتها مع فرسان الأمرار يتقدمهم حمد
المليحابى جادت قريحتها بهذه الأبيات التى خلدت معركة النصر الى الأبد
فقالت:

حَمْدُ الْمَلِيحَابِيِّ سَدَرُ اللَّبَاكِ
وَسَنَتَيْنِ بِدُولِبٍ فِي الْبَشْرِبُو التَّمْبُوكِ
كَتَلَ الشَّيْخَ بَرِيْزَ وَحَرَقَ حَشَا الدَّعَاكِ
وُجَابُ آلِ فِي الصَّفِيهِ رَقَهْنُ بِثَرَاكِ

شرح المفردات:-

- ١ / سادر للباك: ذهب إلى الباك وهو اسم المكان الذي كانت تسكنه قبيلة الأمرار.
 ٢ / قتل: قتل
 ٣ / حشأ: قلب أو احشأ
 ٤ / الدعاك: رضيع الناقة
 ٥ / بتراك: يلمع

تذكر شغبه كيف أن حمد المليحابي ذهب الى الأمرار في الباك، وكيف أنه مكث معهم سنتين كاملتين يجمع صفوفهم ويختار منهم الأقوياء قساة القلب. ثم جاء بهم وأستطاع بذلك الجيش القوى أن يأسر زعيم البطاحين الشيخ برير، والذي سبق أن اذاقهم الويل فأخذ ممتلكاتهم بعد أن قتل من قتل وكان قاسى القلب فأخذ نياقهم الوالدة وترك صغارها تتوجع من الجوع والحنين لأمهاتها، ولكن المليحابي وفرسانه استطاعوا أن يعيدوها ومعها إبل البطاحين المغلوبين على أمرهم ويقول الرواة أن حمد المليحابي بعد أن سلم شغبه الشيخ برير حياً ربطته من خلاف وأحضرت النقارة وأعدت لها العدة، والنقارة هي النحاس المعروف المغطى بجلد البقر أو الجمال تصدر صوتاً حزيناً رتيباً عندما يضرب عليها. وبدأت به فقطعت يديه وحملتهما والدم ينزف منهما وبدأت تدق بهما على النقارة في وحشية متناهية وتغنى في حقد ومرارة وتخطب برير بقولها:

جِيذْ يَابْتَرِيرْ الضُّقَّتْ النُّكُورْ وَالْهُولْ
 وَكُسَّرَ الْهَمْبُرُوكْ عَيْشَ السُّدِيرِ الْخُورْ
 سُوْقَةٌ الْخُدْمُ الْعَقْدَنْ قَفِيهَنْ شُولْ
 كَتِلَّةُ الْبَرْمَكِي مَعَ صَبَاخِ الْبُولْ

شرح المفردات:-

- ١ / جيد: الحمد لله
 ٢ / الضقت: ان دقت
 ٣ / النكور: المصائب وتنكر الايام.
 ٤ / الهمبروك: الزرع الذي لم ينضج بعد
 ٥ / الخدم: تعنى بهذه الكلمة الإبل حديثة الولادة
 ٦ / العقدن: اللائى نظرن
 ٧ / قفيهن: رقابها

٨ / كتلة البرمكى: موت البرمكى تعنى به الرجل الكريم والمقصود به هنا زوجها.

٩ / صباح البول: تقصد به الصباح الباكر.

تخاطب برير قاتل زوجها فتقول له الحمد لله الذى أذاقك العذاب والمصائب التى فعلتها، فلقد قتل زوجها ونكل بقومها ولم يكتف بقتل خيرة رجالها بل ساق إبلها التى حطمت ذلك الزرع بأقدامها وهى تجرى أمامه. وهى حديثة الولادة وتركت صغارها خلفها وهى تحاول الرجوع إليها وذلك لأنها لا تستطيع المشى مثل أمهاتها. لقد قتلت يابرير ونهبت فى ذلك الصباح المشئوم فخلفت الدمار والخراب، وأستمريت فى غنائها الجنائزى الرهيب تخاطب الشيخ برير ويداه الملطختان بالدماء فى يديها تدق بهما النقارة.

جِيذُ يَابْرِيرِ ضُقَّتْ النُّكُورُ إِتْ حَى
وَكَسَرَ الهمْبَرُوكُ عَيْشُ السُّدِيرَةِ النَّئِ
سَوْقَةُ الْحَدَمِ الْعَقْدَنْ قَفِيهَنْ لِي
كَتْلُهُ الْبَرْمَكِي مَعَ صَبَاحِ الضَّى

شرح المفردات:-

١ / ضقت: ذقت ٢ / وإت حى: وأنت حى

تقول شغبه وما زالت يدا الشيخ برير المقطوعتان واللتان ينزف منهما الدم تضرب بهما على النقارة، الحمد لله الذى أذاقك يابرير مثل ما جنته يداك من المنكرات فقد قتلت الزوج والابن وخربت الزرع ونهبت الضرع، فى ذلك الصباح المشئوم الذى قتلت فيه الكريم عند شروق الشمس. استمرت شغبه تقطع اعضاء ذلك المعتقل المسكين حتى مات، وتعرف هذه المعركة بمعركة «الدباغات» وهى حفائر مائية تقع شرق بلدة ابي دليق. وكان برير يتمتع بشجاعة نادرة لم تستطع مديتها الحادة ان تؤثر فيه مما جعلها تمدحه فتقول:

وَدَ الْعَزْ بَرِيرِ ضَرَبَ النُّحَاسَ مَا بَخَافَ
وَعِنْدُو الدَّكْرِى الْبِيَاخُدُ ثَلَاثَهْ أَخْفَافَ
حَالَفَ بِالطَّلَاقِ مَا يُفُوتُ بَنَاتِ عَسَافَ
إِلَّا الرَّأْسُ يَفَارِقُ الْجِثَّةَ وَ الْكَتَافَ

بعد هذه المعركة الضارية التي مات فيها فارس البطاحين بيد شغبه وأسر بواسطة المحاربين الاقوياء، قام ابن عم برير وكان يدعى «اللين» وهو احد فرسان البطاحين الاشداء وجمع قبائل جهينه والسدارنه ووعدهم بأنه اذا عقد له لواء النصر على المرغماب سوف يترك لهم كل الغنائم وله الثأر فقط، وقد أقسم اللين قبل المعركة بأنه سوف يأخذ نساء المرغماب سبائا.

سمع أهل شغبه بعزم اللين على غزوهم ولما كان الغزو يقصد به المال «الابل» فقد فكر أهل شغبه في تغيير مكان رعى ابلهم حتى لا ينهبها اللين ومن معه، ولكن شغبه الشجاعة المتعطشة للملاقاة اللين قد اشارت الى اهلها ان يصمدوا صمود الفرسان.

جَمَلِي فِي أَم شَدِيدَه قَلْدُو وَهُدُو
وَالْمَال لِي مَسَادِيرُو الْقَدَم وَدُوا
وَالطَيْرُ يَا سَرَّاحِينَ الْوَجْوه غَدُو
وَالْبَجْفَلُ شَنَاعُو لِلْبَنَات وَدُوا

شرح المفردات:-

- ١/ قلدوا: حسنوه وأربطوا حول عنقه الزينه
- ٢/ هدوه: اجعلوه فحلا للنياق
- ٣/ المال: الابل
- ٤/ مساديرو القدم: مكان رعيها القديم
- ٥/ سراحين الوجوه: اصحاب الوجوه الخشنه
- ٦/ البجفل: الذي يهرب من المعركة

تقول لهم شغبه لا تخافوا بل اتركوا ابلكم في مكان رعيها القديم واذا جاءكم هؤلاء الاعداء فنكلوا بهم وأشبعوا الطيور من لحمهم اما ذلك الذي يهرب من المعركة فحدثوا بخبره الفتيات وسوف يتناقلن خبره وفي هذا منتهى العار.

تجمعت قبائل جهينه والسدارنه بقيادة اللين ودارت معركة ضارية بين قبيلة شغبه والبطاحين في مكان يسمى «شموم» حيث عقد لواء النصر في المعركة للمرغماب مرة اخرى وقتل الفارس الجسور اللين وكان لشغبه دور عظيم في هذه المعركة ان طلبت من كل شبان قبيلتها ان يخلعوا امشاط شعرهم ويغرسوها في مكان معين، حتى اذا هرب احدهم استطاع ان

شرح المفردات :-

- ١ - إتلمت : تجمعت
- ٢ - الزرق : سود اللون والوجوه الكالحة .
- ٣ - أرجوهن : انتظرهم
- ٤ - الفرق : الشجعان .
- ٥ - كراسة برق : الحراب التى يلمع لونها لأنها مزينة بسلوك الفضة .
- ٦ - عدوهن شمووم طردوهم من شمووم وهى حفير تقع فى سهل البطانة .
- ٧ - الحرق : الأرض التى اصابها الحريق .

تقول شغبه :-

لقد تجمعت قبائل جهينة والسدارنة السود حيث انتظرهم فرسان الكواهله وتعنى بهم المرغاب الذين ينتمون الى قبيلة الكواهله، بثبات وشجاعة وطردوهم شر طردة من ذلك المكان المسمى شمووم وهربوا هروب النعام وقتلوا اللين واشبعوه حرابا، كما قتلوا فرسان العركشاب من قبيلة اللين وجعلوا جثثهم مبعثرة على الأرض التى اصابها الحريق .

اتَلَمَّتْ جَهِينَةُ وَطُرْطُرُ أُمِّ هَبُّودَ
يَحْسِبُوهُ كَتَالِنَا بِالْحَجَرِ وَالْعُودِ
أَرْجُوهُنَّ صَبَاحَاتِ الْكَوَاهِلِ قَعُودِ
فُسْرَاعُ شَبَعُوا اللَّيْنَ مِنْ الْمَتْرُودِ

شرح المفردات :-

- ١ - اتلمت : تجمعت
- ٢ - طرطرام هبود : تحقير لهم حيث تشبههم بالرماد .
- ٣ - كتالنا : قتلنا
- ٤ - أرجوهن : قابلوهم .
- ٥ - المتروود : الحراب .

تقول شغبه ان جهينة تجمعت لحرب قبيلتها وفي ركايبها تلك القبائل التى وصفتها بأنها رماد لا فائدة منها، وكانت جهينة والقبائل التى جاءت معها تظن اننا سوف نحاربهم بالحجارة والعصى ولكنهم وجدوا رجال الكواهله وفرسانها يحملون الحراب والسيوف القواطع وفي بضع ساعات استطاعوا ان يقتلوا فارسهم «اللين» ويشبعوه من تلك الحراب حتى لم يبق فى جسده مكان لآخرى .

وتقول شغبه :-

الْيَوْمَ يَاجْهَيْنَهُ حَدَّكَزْ فَتَوَهُ
وُسْعِيَتَوْلُكُنْ خِيُولُ دَرْبُ النَّكُورُ عُسْتَوَهُ
فَارَسَ السَّبْعَتَيْنِ جَيْدَ اللَّقَا ضُقْتُوَهُ
كُوسُولُكُنْ سَبِيْبُ ضَنْبِ الْحُصَانِ اكْتُوَهُ

شرح المفردات:-

- ١ - حدكن: مكانكم ٢ - فتوه: تعديتم حدودكم.
- ٣ - سعينو لكن: ربيتكم لكم خيلا.
- ٤ - درب النكور عستوه: طريق البدع والفعل المشين سلكتموه.
- ٥ - كوسولكن: ابحثوا لكم عن. ٦ - اکتوه: اربطوه.

تخاطب جهينة وتقول لهم لقد تعديتم حدودكم المرسومة لكم وفعلتم ما لم يكن في الحسبان وما يدعو للاستغراب وما ليس من طبيعتكم لانكم اصبحتم اصحاب خيول والخيول لا يمتلكها الا الشجعان الشيء الذي استغرب له . فأنتم لستم اهلا لذلك، ولكن الحمد لله الذي جعلكم ترون باعينكم فارسنا فارس السبعتين وهو احد فرسان المرغاب الاقوياء ويعرف باسم محمد ود احمد العامرابي.

ويقال ان محمد ود احمد جرى وراء احد فرسان جهينة ولما اوشك ان يلحق به ضربه بسيفه ولكن حصان ذلك الفارس كان اسرع في الهرب من حصان محمد ود احمد فقطع ذيله بدلا من ان يقطع رأس ذلك الفارس الهارب، فتنهك عليهم شغبه وتقول لهم ابحثوا لكم عن شعر لتربطوا به ذيل ذلك الفرس حتى لا يراه الناس فيعرفوا انكم هربتم من المعركة، وفي هذا منتهى العار على الاعداء ودليل قاطع على انهم هربوا من فرسان قبيلتها خوفا على ارواحهم.

شَغْبَهُ وولدها حسين:-

يحكى الرواة انه كان لشغبه ابن يدعى حسين وقد شب حسين هذا ديننا تقيا وكان يدرس القرآن الكريم في احدى الخلاوى، وكان مجتهدا في حفظه، ولكن هذه الحال لم تعجب امه، فكانت تراه والخمول ندين في الوقت الذى كانت تريده محاربا شجاعا مثل بنى قومه فاطلقت شغبه قذيفة شعر اصابت ولدها في صميم كبريائه.

أَرَيْتَكَ يَا حُسَيْنَ مَا أَشَوْفُ لُوحَكَ مَعْلُوقٌ
وَيَوْمًا كَاتِلَنُ وَيَوْمًا مَفْلُوقٌ
وَيَوْمًا فَوْقَ ضَهْرٍ أَلٍ فِي شَايَتُو غَلَقٌ
قَاعِدٌ لِي الزُّكَا وَلَقَطُ الْمَحْلُوقِ

شرح المفردات:-

- ١ - أريتك: ياليتك. ٢ - مفلوق: مضروب.
- ٣ - كاتلن: سارقها تعني الابل.
- ٤ - ال في شايتهو غلق: سمن وقوى والشايه هي مكان لربط الجمل.

تقول شغبه لولدها انها لا تريده جالسا هكذا يمسك بلوح الخشب ليتعلم بل تريده بطلا مثل فرسان قومها يسوق امامه عشرات الابل المسروقة وهو مضروب تنزف من رأسه الدماء ويوما يركب على ظهر جمل حرسريع قوى.

وتسترسل شغبه في إلهاب مشاعر ابنها حيث تقول:-

يَا حُسَيْنَ أَنَا مَانِي أُمَّكَ وَأَتِ مَاكَ وَلَدِي
بَطْنُكَ كَرَشْتُ غَيَّ الْبَنَاتِ نَاسِي
وَدَقْنُكَ حَمَسْتُ جِلْدَكَ خَرَشُ مَا فِي
لَاكَ مَضْرُوبٌ بِي حَدَّ السَّيْفِ نَكَمُّدُ فِي
وَلَاكَ مَضْرُوبٌ بِي لِسَانِ الصَّيْدِ نَقْصَدُ فِي

شرح المفردات:-

- ١ - بطنك كرشت: كبرت وتعني ان الحب لم يضعف صحته.
- ٢ - نكمد في: نداوى ونعالج بالمكمدات.
- ويستجيب حسين لنداء امه سليطة اللسان فيرد عليها:-

مَحِينَاكَ يَا لُوحَ وَكَسَرْنَاكَ يَادَوَايَه
لَهَيْجِ الْحُمِّ أَحْسَنُ مِنْ الْقَرَايَه
وَقَلْبَتِ الشَّدَّ عَلَى اللَّفْضِ التَّنَايَه
وَمَقَالَبِهِ الْبُكَازِ كَبَدَ السَّحَايَه

شرح المفردات:-

- ١ - السحاية: المكان الذي ينبت فيه السحا وهو نبات تأكله الابل.

يقول حسين لقد محونا اللوح وكسرنا الدواية، دليل على أنه قد ترك القراءة والتعليم وتفرغ لحياة الفروسية والنهيض لأنه في هذه الحياة الجديدة يستطيع أن يتمتع بحديث البنات ويعيش حراً طليقاً مع جماله ونياقه.

ويحدثنا الرواة أن حسيناً في إحدى جولاته بحثاً عن ابل الآخرين لنهبها وسرققتها رمت به الاقدار في ديار المك عجيب، «المانجك» أحد ملوك السلطنة الزرقاء وكان حسين يملك جملاً رائعاً وسريعاً جداً، ولا تستطيع أسرع الجمال اللحاق به وخوفاً من أن يستولى عليه المك فقد ذهب حسين لاحد «الفلاته» وعمل له الفلاتي عملاً جعل جمل حسين حقيراً لا يساوى قيمة حمار بل لقد أطلق عليه الناس اسم الحمير تصغيراً لشأنه، والعمل هو ما يكتبه الفقهاء من تائم لجلب المنفعة أو الضرر على السواء. خدم حسين المك فترة طويلة من الزمن وأصبح مشرفاً على خيله وفضل البقاء في ديار المك عجيب لأنه وقع في غرام إحدى بناته الجميلات ويقال أنها كانت تبادل له حباً بحب.

وعلم المك عجيب بهذا الأمر فغضب غضباً شديداً ولكنه لم يكن يصدق أن ترتفع عين حسين لتري أبنته، وفي ذات يوم عندما كان حسين منهمكاً في تسريح إحدى خيل المك وكان المك لسوء حظ حسين يقف خلفه رأى حسين فتاته خارجة من خبائها فزفر زفرة حارة من اعماقه وقال يخاطبها:-

يَا دَغْسَاءَ الْعَيُّونَ بَلَا مُرَوَادُ
تَحْسَبِي حَسِينَ جَاءَ لِلْخَصَانِ قَوَادُ

ولكنه أنتبه فجأة قرأى المك خلفه فأستدرك في ذكاء وقال:-

لكن مو كعب رفقا مع اللجواد

شرح المفردات:-

١ - دغساء العيون: العيون السوداء.

٢ - مو كعب: ليس سيئاً.

٣ - اللجواد: الكريم.

يقول لها حسين يا سوداء العيون بلا كحل هل ظننت أن حسيناً جاء إلى هنا وترك أهله وعشيرته وجماله ونياقه، ليعمل خادماً لوالدك ويقصد أنه ما جاء هنا ورضى بهذا العمل إلا من أجلها هي ومن أجل عيونها السود التي كحلتها يد الخالق وأبدعت .

فهم المك سبب وجوده هنا على حقيقته وحكم عليه بالقتل ولكن قبل أن ينفذ فيه حكم الاعدام سأله المك عجيب عما إذا كان يريد تحقيق مطلب ما قبل أعدامه وفي ذكاء ابن البادية وسرعة بديهته طلب من المك أن يسمح له بركوب جملة داخل تلك الزريبة التي تحفظ فيها الحيوانات فضحك المك وحاشيته من هذا الطلب ولم يخطر بذهنه أن حسيناً سوف يفلت من يده .

قبل المك طلبه ودخل حسين زريبة الخيل وفك عمل «الفلاتي» وفي ذهول الحاشية والمك نفسه، قفز الجمل من فوق الزريبة وانطلق بسرعة لم تستطع خيل المك اللحاق به وقد طارده أسرع الخيل وعادت خائبة قد تقطعت أنفاسها وعندما ضمته أرض البطانة الفيحاء الواسعة أبطأ في سيره وأخذ يمدح جملة فيقول :-

يَا ابَّ ضَهْرًا مِثْلَ فَرَنْبِيَّةِ الشَّرَاكِ
يَا عَصَارُ سَبِيبِ ضَيْلِكَ عَلَى اللُّوْرَاكِ
الْعَزْبِيَّةِ بِتَكُوشْكَ وَأُمِّ رَهِيْطِ تَبْرَاكِ
رَبَدَاتُ النِّعَامِ فِيهَا الْعَجْزُ مَا لَاكِ

شرح المفردات :-

- ١ - فرنبية الشراك شرك الصيد
٢ - يا عصار يا من تعصر وتضغط.
٣ - ضيلك ذلك .
٤ - ربدا ت النعام . النعامة الربداء .

يقول حسين ان جملة الذي يشبه ظهره الشرك العالى الذي ينصبه الصيادون قد جرى بسرعة رهيبة وقد فشلت فرسا المك المسميان بالعزبة وام رهيط ان تلحقا به ، ويقارن بين سرعة جملة وسرعة النعامة الربداء وهي على الرغم من سرعتها الفائقة عاجزة ان تضاهي سرعة جملة والجدير بالذكر ان النعامة الربداء اسرع في الجرى من غيرها .

يقول الشاعر :-

| | | | | |
|-------|------|-----|--------|--------|
| اسد | علي | وفي | الحروب | نعامة |
| ربداء | تجفل | من | صغير | الصافر |

اذن قد استطاع حسين ان يفلت من المك عجيب وحكمه عليه بالموت وذلك بفضل جملة السريع.
ويقول حسين مخاطبا جملة مبررا سبب وجوده في ديار المك عجيب:-

مَنْ مِثْلُ وَدِّ فَرِيحٍ بَرَعَى الْبَقْرُ بِالْمَدِّ
وَهَوَىٰ فِي بَتِّ عَجِيبٍ كَوْلَةَ التَّنَايَةِ النَّدِّ
أَهْلُكَ فِي أَمِّ شَدِيدِهِ يَا التَّمَاغِي الْقَدِّ

شرح المفردات:-

- ١ - مان: لست.
- ٢ - ود فريح: شخص كان يرعى البقر مقابل بعض العطية.
- ٣ - هوى: حبي
- ٤ - كولة التنايه: الظبية.
- ٥ - القد: الرسن.

يقول انه ليس مثل ود فريح يعمل برعى البقر لقاء اجر بسيط ولكن سبب وجوده في ديار المك هو حبه لتلك الفتاة التي وهبها كل قلبه والتي تشبه الظبية جمالا ورشاقة فيقول لجملة ان سنار ليست بلدتك وليس ساكنوها بأهلك وانما اهلك في ذلك البلد المسمى ام شديده فحث الخطى للحاق بهم.

فيستمر حسين مخاطبا جملة فيصف له الطريق وهو يحادثه.

دِيكَ رِيرِهِ أَمْ قَلُوتُ مَكَمَنْ الْقِيَمَانِ
وَدَاكَ حَجَرُ الصَّفِيَّةِ مَقَابِلُ الْغُبْشَانِ
وَفُوقُ حَدْبَةِ كَشَيْشِهِ بَقْرَقَرُ الضُّهْلَانِ
شَدَرَاتُ وَدِّ كُوهِ فِيهِنَّ أَمْ قَرْقَدًا نَذْيَانِ

شرح المفردات:-

- ١ - ديك: تلك
- ٢ - قلوته: صخور تجتمع فيها المياه ايام الخريف.
- ٣ - الغبشان: اسم مكان
- ٤ - حدبة كشيشة: اسم مكان ايضا.
- ٥ - يقرقر: يصيح..
- ٦ - الضهلان: الجائع والمعنى به هنا الضبع.

يقول لجملة تلك ريرة الشهيرة والتي توجد في جبالها الصخور التي تختزن في جوفها المياه والتي كثيرا ما أختفى النهابون في جبالها وكذلك تلك الصفية يقابلها ذلك البلد المسمى الغبشان، وتلك شجرات ود كوه حيث

تنزل تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الفاحم والنادى دائما وكأنه بذلك يريد أن يذكره بماضيه الزاهر قبل أن يترك أرض البطانة ويذهب بعيدا حيث رمت به الاقدار في ديار ملوك سنار.

وصل حسين الى ديار قومه سالما ولكن الملك عجيب زاد حقدا عليه وعلى قومه فقد أستباح شرفه وأساء اليه إساءة بالغة لعلاقته مع إبنته، وهو لا يرقى لمستوى الملك بأى حال من الاحوال، ثم لهروبه منه فأرسل الملك عجيب رسوله الى قبيلة المرغاب يطلب منها ان ترد اليه حسين وان تدفع له الاتاة وان تقدم له ولاء الطاعة. ولكنه كان يجهل تماما مدى قوة قبيلة المرغاب ومن ورائهم بنوا عمومته الكمالاب، فكان الرد كلمات بسيطة مليئة بالسخرية والاعتزاز بالنفس قالتها شغبة لرسول الملك عجيب:-

قَوْلُ لِلْمَلِكِ عَجِيبٍ مَا عُنْدَنَا لِيكَ الْآتَ
بِرَادِقٍ وَدَّ بَقِيعٍ وَالْدَّكْرَى الْكَفَاتُ
أَكَلْنَا الْعَكَّةَ وَنَفْطُرُ عَلَى نَبَقَاتِ
دَقَّتْ نُقَارَةٌ الْبَرَكَاتِ
عَرَضُوا أَوْلَادَ كَمَالٍ جُوهَا الدُّبْسُ قُتَاتُ

شرح المفردات:-

- ١ - الات: فلوس.
- ٢ - ود بقيع: اسم رجل يصنع الات الحرب من حراب وسيوف.
- ٣ - الدكرى: نوع من انواع السيوف.
- ٤ - الكفات: القاطع.
- ٥ - العكة: ثمر الدوم.
- ٦ - البركات: النصر.
- ٧ - الدبس: السود. وتعنى بهم قبيلة المرغاب.

تستنكر شغبة طلب الملك عجيب، وتقول له انهم لن يدفعوا له الاتاة مهما كانت قوته وجبروته، وليس لديهم شىء يقدمونه له سوى الضرب بتلك السيوف القواطع والطعن بالحراب التى قام بصناعتها ذلك الرجل المسمى «ود بقيع» وان قومها شجعان يقضون يومهم فى ساحة الوغى بدون اكل بل تكفيهم ثمار الدوم والنبق ترياقا، حتى ينجلى غبار المعركة. وعندما تدق نقارة حربهم تعنى دائما ان النصر لهم والهزيمة لغيرهم ثم تصور للملك عجيب فى تحد الحالة التى يجدهم فيها عندما يأتى لحربهم فسوف يجد صناديد وابطال قبيلة الكمالاب قد حضروا للموت مع

اخوانهم وبنى عمومته المرمباب والذين هم بدورهم جاءوا يسيرون في مهل الى ساحة الموت وكلهم فرسان قد عرفتهم قبائل السودان قاطبة بالشجاعة والفروسية.

الا إن كثير من الناس يفهم كلمة «آلات» الواردة في البيت على اساس انها تعنى الصلح ولكن المقصود بها الاتاة اى الفلوس كما ورد في الشرح.

وتحكى الروايات ان حسيناً ولد شغبه عز عليه ان تدخل قبيلته في حرب مع المك عجيب، فرجع وسلم نفسه له خوفاً من ان يكون سببا في قتل الابرياء وآثر ان يموت وحده ولعل اروع المشاهد واعظمها تأثيرا ان وقف حسين امام خادم المك عجيب وخاطبه قائلاً:-

الزَيْنُ مَا بَفَسَلْ وَالْفَسَلُ مَا بَزِينُ
وَالْجَنَسُ الرَّخِيسُ مَا يَتَفَعُّو التَّحْسِينُ
الدَّخْلُ الْبَطُونُ مَا يَتَقَطَّعُو السَّرِينُ
يَا مَرْجَانُ نَعْلُ نَاسِ بَتَّ عَجِيبُ طَيِّبِينُ

شرح المفردات:-

١ - الزين: الطيب عكس الفسل ٢ - نعل: لعل.

يخاطب حسين خادم المك المسمى «مرجان» فيقول له ان الشخص طيب الاصل لا يفقد الامل فيه، اما ذلك الذى لا اصل له فلا يرجى من ورائه خير. واما ما تجمع في صدر المك من حقد نحوى لا يمكن ان يمضى بسهولة، ولا اعتقد انه سوف يغفر لى زلتى، ثم يسأل مرجان خادم المك عن حبيبته فهل هى بخير فلما سمع المك عجيب بهذه الابيات عفا عنه وسامحه لشجاعته.

عندما سمعت شغبه بما قاله ابنها سرت سروراً عظيماً ليس لافلاته من الموت ولكن لشجاعته وبسالته ومدحته بأبيات جميلة اجادت فيها الوصف وأبدعت ايما ابداع فقالت:-

وَلَدَى مُو دَبَادِبُ عَيْنُهُ أُمُ بَشَّارُ
صَدَّرَ الْبَرْزَمُ الْفِيهِ الْحَبْرُ عَشَّارُ
شَنْ بِلْدُ السُّنْطُ غَيْرُ الدُّبَاغِ الْحَارُ
جَيْدُ الْمَا قَالُوا تَخَرَّ الرَّمَادُ النَّارُ

شرح المفردات:-

- ١ - دبادب عينه ام بشاره: تقصد اول موسم الامطار.
- ٢ - صدر البرزم الفيه الحبر: تعنى وسط الخريف والحبر نوع من الطيور.
- ٣ - الدباغ الحار: شجر السنط.

تقول شغبه ان ولدها عظيم القيمة وليس مثل ذلك المطر الذى ينزل فى بداية موسم الأمطار. بل أنه شبيه بذلك المنزل من منازل الخريف والذى تكثر فيه الأمطار ويبيض فيه الحبارى .. ثم تقول أن إبنها من أبوين عظيمين والحمد لله الذى جعل الناس لا يشمتون عليه ولا غرابة فى ذلك فهو ابن لشغبه ولذلك الفارس المسمى ود دقلش.

وتقول بعض الرويات ان احد ملوك سنار قد تمكن من اعتقال شغبه واخذها اسيرة الى سنار وهناك طلب منها ان تمكث معه ويبنى لها بيتا جميلا فردت عليه متهمكة:-

دُبُّ بَيْوتًا مَا فِيهِنَّ أُمُّ كَرَّابٍ
رُؤُوسُنَّ قَشٌّ قَعُورُنَّ فِي الْوُطَى رُتَّابٍ
أَهْلِي يَا وَلِيدُ نَزَلُوا مَزَارِقَ الطَّابِ
عِزُّ النَّاسِ أَهْلَنَا الْآخَرِينَ بَتَّابِ

شرح المفردات:-

- ١ - ام كراب: سرج الجمل ويسمى بالمخلوفة.
- ٢ - الوطى: الارض.
- ٣ - مزارق الطاب: اسم مكان فى البطانة.
- ٤ - بتاب: بقايا قشور الحبوب.

تقول شغبه ساخرة منه ان هذه البيوت عليها اللعنة فهى لا تحوى فيما تحويه من سروج الجمال، كما ان رؤوسها من القش وجدرانها من الطين، ذلك لان شغبه لم تألف مثل هذه المنازل الحقيرة فى نظرها وتخطبه بقولها «يا وليد» تحقيرا لشأنه وتذكره بأن أهلها ينزلون الآن فى أرض مزارق الطاب حيث الهواء الطلق، وحياة الحرية والسعادة الحقيقية فأهلها هم أشرف الناس، أما الآخرون فانهم مجرد نفايات لا ترقى الى معدنهم النقى الأصيل.

وتزداد آلام شغبه كلما مرت بها أيام تعيسة فى تلك البلاد التى لم

تأنس اليها فترسلها أنات موجعة وفي ملء كيائها صورة أهلها وذكريات منهم لا تموت وحنين لا يفتر الى حياتهم البدوية الخالصة تلك فتقول:

الليَّله على السَّافِلِ بِشَوْفِلي سَحَاب
وَيَا نُوحَ مَنْ فَرِيقاً مَافِيهْ شِدَّةُ أَمِّ كَرَّابْ
رُوسِنْ قَشْ قُغُورِنْ فِي الْوَطَى رَتَّابْ
خَشُومِنْ سَوَدَ وَعَقَبْ بِسُولِنْ بَابْ
سَكَّانِنْ جُهَرْ وَمَلَّاحِنْ الْوَيْكَابْ
يَا دُوبْ لِي أَمِّ شَدِيدَهْ وَشِدَّةُ الْخَبَابْ

شرح المفردات :

- (١) السافل : الشمال.
- (٢) بشوفلي : أرى.
- (٣) خشومن : مدخل الأبواب.
- (٤) بسولن باب : يضعوا عليها أبواباً.
- (٥) جهر : لا يرون ليلاً.
- (٦) ملّاحن : طبخهم.
- (٧) الويكاب : طبيخ يصنع من رماد القصب واللبن.
- (٨) يا دوب : كلمة للتمنى.
- (٩) أم شديدة : مكان في البطانة.
- (١٠) الخباب : الجمل السريع.

تصف شغبه الحال التي تعيش فيها وحياة الذين تعيش معهم في حسرة وتذكر أهلها في كل ساعة. ففي هذه الليلة رأت شغبه سحباً كثيفة فوق مكان قومها وتتحسر على هذا المكان الذي حكم عليها بسكناها فيه وهو خال من أثر سرج لجمال، وهذه المنازل التي صنعت رؤوسها من القش وجدرانها من الطين ليس أمام ساحتها مايدل على الخير، وليس أمام أبوابها بقر أو إبل وهي سوداء تدل على الفقر والقحط وأهلها لشدة بخلهم مع كل مظاهر الفقر ووجوده أصلاً داخل هذه البيوت فانهم أيضاً يضعون لها أبواباً دليل بخلهم وكراهيتهم للضيف، ويأكلون الويكاب الذي لا يمكن لها ولا لأحد من قومها أن يجعله طعاماً وتتمنى أن ترجع الى ديارها في أم شديده حيث الخير الوفير والحياة السعيدة الرغبة.

وكان مع شغبه وهي بعيدة عن أهلها رجل يقال له «جهاد» فتذكر أهلها معه وتقول في شوق وحسرة:

حَلِيلُنْ يَا جِهَادُ فِي قَهْبُونِ سَمُومٍ وَلَا سَمَاهُنْ جَادُ
نَزَلُوا فِي الْبَابِنُوتَةِ وَرَبَّحُوا الْوَرَادُ
وَكَرَبُوا غُرْدَةَ السَّابِلِ عَلَى الشَّرَادُ
عِيَالُ الْبَيْبِشَابِ الْبِمِدُوا الزَّادُ
فِيهْنُ شَكِيلِيَّتْ جَنَا حَمَادُ
بَكْرِيَهْنُ عَلَى صَفِّ الدَّرْقِ بِنَقَادُ

شرح المفردات :

- (١) قهبون سموم : الجو الحار.
- (٢) ولا سماهن جاد : أم نزلت عليهم الامطار.
- (٣) البابنوته : مكان فيه حفير مائي.
- (٤) كربوا : ربطوا.
- (٥) الشراد : السريع النفور.
- (٦) البيبشباب : فرع من فروع قبيلة المرغما.
- (٧) البمدوا : الزاد الكرماء.
- (٨) شكيليت : أحد فرسان هذا الفرع.
- (٩) البكري : الشاب.

تعبر هذه الابيات تعبيراً صادقاً عن حنين شغبه الى أهلها وتساءل جهاد أتراهم مازالوا في صيف لافح أم ان السماء جادت عليهم بخيرها أم تراهم نزلوا ذلك المكان المعروف بالبابنوته ولم يتعب جالبو الماء في قطع تلك المسافات الطويلة من أجلها؟ أم تراهم قد أسرجوا جمالهم وربطوا سرج النافر منها علي ظهره وتذكر شكليت ولد حماد الذي تعزه وتذكر أيضاً شجاعتهم كباراً وصغاراً، فهم والسيوف والدرق أصدقاء.

ولشغبه أشعار يمنع الحياء من ذكرها ولكن المتأمل في حياتها لا يستغرب أن تقول هذه المرأة تلك الأشعار بتلك الألفاظ الجريئة، فقد عاشت مثل أى رجل آخر، ولم يتوج حياتها الحياء ولم تغلب عليها أنوثه. ويقال ان ملك الفونج بعد أن فشل في استمالة قلب شغبه، نفاها الى دنقلا، فلا نجزم بصحة هذه الرواية أو بطلانها ولكن على أية حال فان شعرها يثبت انها كانت في دنقلا حيث تقول في هذا الصدد:

الَّيْلَةَ هَبُوبٌ أَهْلِي مَلَّتْ نَفْسِي
وَمِنْ رَطْنِي الضَّنَّاقِلَهُ وَكَتِيرَ هَوْنِي
فَارَقْتَ الْحَوَارِ الْفِي الشَّبَكِ رَفْسِي
فَارَقْتَ الْخَلْفَةَ الْمَسَارِي وَالْجَمَلَ زَادِي

شرح المفردات :

- (١) هبوب : نسيمات .
- (٢) ملت . ملأت .
- (٣) نفسى : تنفسى .
- (٤) رطنى : حديث غير عربى .
- (٥) الضناقلة : قبيلة الدناقلة .
- (٦) الحوار : رضيع الناقة الصغير .
- (٧) الشبك : كيس من الحبال يوضع بداخله رضيع الناقة الصغير .
- (٨) الخلفة : الناقة التى بلغ رضيعها العام .
- (٩) المسارى . السمينة .

يغالبا الحنين الى ديارها وأرضها المعطاءة الخضراء ونسماتها الحلوة اللطيفة، وهى ضاقت ذرعا بلغة الدناقلة التى لا تعرفها وتشعر عند سماعها بالآلم مبرحة، وتذكر رضيع الناقة المحمول فى شبكة الحبال وهو يرفس محاولا التخلص منها، وتذكر نياقها السمان يلحقها الجمل فتلد ويستمر وجودها .

وتمر شغبه فى آخر أيامها بطروف حياتية تعيسة فقد فارقت الالهل والاحباب وقطعان الجمال وحياة البادية التى أحببتها وأعزتها ونذرت نفسها لها . وتبقى لها ذكريات حبيبة تذكر قبيلتها أيام أن كانت تقوم الحروب بينهم وبين أعدائهم فتقول :

حَلِيلُ الْبَرْكَبُوا التَّيْسُ أَبُ صَرِيْمَه
وَحَلِيلُ الْبَنْزَلُوا حَدَبُ أُمِّ قَضِيضِيْمَه
وَحَلِيلُ الْجَاهِلُنْ مَا بَدُورُ تَعْلِيْمَه
حَلِيلُ الْبَقْطَعُوا الشُّكُّ فِي الْعَزِيْمَه
وَأَهْلِي الْمُرْغَمَابُ يَا دُوْبَه لِيَهْنُ دِيْمَه

شرح المفردات :

(١) الصريمه : الرسن للجمل تقصد الجمال الهائجة .

(٢) حذب أم قضيزيمه : اسم مكان في البطانة .

(٣) الجاهلن : صغيرهم .

(٤) العزيمة : الدعوة للأكل أو الشرب .

تقول شغبه كم اشتاق لأهلى أولئك الذين يركبون الجمال الحرة التى لا تقاد بمقود وكم اشتاق لأهلى الذين ينزلون فى ربوع أم قضيزيمة الواسعة، وكم اشتاق الى أهلى الذين يفهمون ويعرفون الكثير لدرجة ان الطفل منهم لا يحتاج الى من يعلمه شيئاً جديداً، أهلى أولئك الذين يلحون على ضيفهم فى دعواتهم ويحلفون ولا يرضون أن يتركهم بغير أن يأكل ويشرب، انهم أهلى المرغباب الذين أحن اليهم الى الأبد .

ولا نعرف بالتحديد أين كانت شغبة عندما سطرت هذه الأبيات الجميلة التى صبت فى كلماتها كل أحاسيس الحب والود والشوق والحنين أننا نتصورها وقد أضناها الغم والألم وهى تذكر مراعيها ورعاتها وابلها وأهلها ولا تستطيع الوصول اليهم فتنظم جميل الكلام لتعبر عن مكنون صدرها الذى ألمه البعد والفراق .

تقول شغبه متذكراً أهلها أيضاً :

حَلِيلُ الْبَرْكَبُوا التَّيْسُ الْبُشَارَى
وَحَلِيلُ الْكَمْشُوا الْخَلْفَه الْمَسَارَى
وَحَلِيلُ الْبَلْفَحُوا التُّوبُ الْعُشَارَى
وَحَلِيلُ الْفَى الْكَتَالُ حَاكُوا الْهَلَالِ

شرح المفردات :

(١) حليل : كلمة تقال فى التعبير عن الشوق .

(٢) التيس البشارى : الجمل نسبة لقبيلة البشاريين .

(٣) البلفحوا : الذين يلبسون الثوب .

(٤) العشارى : الذى يبلغ طوله عشرين ذراعاً دليلاً على طول قامتهم .

أين هم الذين يركبون الجمال البشارية المعروفة بسرعتها وقوتها؟ وأين هم الذين صرروا ضرع النياق ليشربوا من لبنها الحلو المذاق حتى لا يحرمهم منه صغارها؟ وأين هم أولئك الذين يلبسون ثوباً يبلغ طوله

العشرين ذراعا لأنهم طوال القامة أشداء عراض الأكتاف. أين هم أولئك الذين يبلون في المعارك مثل ماكان يبلى أبو زيد الهلالي؟
ونقول أيضا :

حَلِيلُ الْهُوجِ قَبِيلُ زَمَنْ اللَّعَادِي
حَلِيلُ الشَّرْفُهِنْ كَارِي الْبَوَادِي
حَلِيلُ الْبَرْكَبُوا الْحَافِرَ الْبِقَادِي
وَحَلِيلُ الْمَخْرَفُنْ مِنْ الْكَاهِلِي غَادِي

شرح المفردات :

- (١) الهوج : لقب قبيلة المرغاب.
- (٢) اللعادي : الأعداء.
- (٣) الشرفهن : وجودهم.
- (٤) كازي : غاظ.
- (٥) الحافر البقادي : الفرس الأصيل.
- (٦) المخرفن : المكان الذي يمضون فيه الخريف.
- (٧) الكاهلي : مكان جنوب البطانة.

اختلف الرواة في المكان الذي ماتت فيه شغبه فبعضهم يقول انها رجعت لبلادها مرة أخرى ولكننا وجدنا في شعرها ما يؤكد رجوعها ويقال انها رفضت الرجوع مع بعض أفراد قبيلتها حتى أتى لها رجال من احد فروع القبيلة الأخرى ورجعت معهم ويعرف هذا الفرع من قبيلة المرغاب بفرع الزماماب.

ولامها الأولون الذين ذهبوا اليها فلم ترجع معهم فردت عليهم بأبيات رصينة قائلة :

شَغَبَهُ مَاتَلُومُوهَا فِي كَلَامِ الْحَرِّ
وُطَارِيَاهُنَّ عَكَكِيْزَ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ
أَوْلَادُ أَبِ زُمَامَ الْبَرَكِبُو الشَّقَرُ
النَّاسُ مِنْ خَيَالَاتُنْ جَمِيعُ تَنْصَرُ

شرح المفردات :

(١) كلام الحر : حديث الغضب أى انها غاضبة.

(٢) طارياهن : تتذكر.

(٣) عكاكيز : عصي.

(٤) خيالاتن : خيالاتهم.

تقول لا تلوموا شغبه في الحديث الذى قالته وهى غاضبة، اننى أتذكر
أهلى دعائم البر والبحر بشجاعتهم وقوة شكيמתهم أولاد أب زمام الذين
يركبون الجمل الأشقر السريع القوى والذين هم اذا ذكر اسمهم أصاب
الأعداء الوجع والخوف فيتدخلون في بعضهم البعض خوفا منهم على
أرواحهم.

ولشغبه شعر جميل في وصف الطبيعة. تقول في وصف الخريف:

أَدْنَدَحُ سَحَابَ شَغَبِهِ أَبَ قَمَاقِمًا غُرَّ
تَسْعَ أَيَّامَ لَيْلٍ وَنَهَارٍ بَكْرُ
أَسْيَادِ الْخَلِي التَّحْتَ السَّيُولِ بَدْرُ
أَتَعَشُّوْا أَلْ قَوْا وَرَقْدُوا الضَّعَافُ بِالْضَّرِّ

شرح المفردات:

(١) أدندح سحب شغبه : نزل قريبا من الارض.

(٢) قماقم : تعنى السحاب الأسود وقد انعكست عليه أشعة الشمس فظهر وكأنه
في قمته غرة من شدة بياضها.

(٣) يكر : يرعد.

(٤) الخلى : الناقة التى مات صغيرها.

(٥) القوا : الأقوياء.

(٦) رقدوا : ناموا.

(٧) اتعشوا : أكلوا العشاء.

(٨) أسيد : أصحاب.

(٩) بالضر : بآلم الجوع.

تقول شغبه : اليوم وقد تكاثرت السحب حتى كادت أن تلامس الأرض لأنها ثقيلة مليئة بالخير والنماء، وقد علت هاماتها الغرمن أشعة الشمس التي انعكست عليها، واستمرت الأمطار تهطل لمدة تسعة أيام ليلاً ونهارها واستمرت ترعد بلا انقطاع أو توقّف. ثم تقول ان أهلها وهم أصحاب إبل كثيرة لبونة استطاعوا أن يجدوا بسهولة مايتعشون به من لبن نياقهم، أما الضعفاء الذين ليست لهم نياق ولا يستطيعون الحصول عليها فقد ناموا دون طعام والغبن يأكل صدورهم والجوع ينهش أحشاءهم.

وتصف شغبه تلك الليلة المطيرة التي ذاق فيها الناس الكثير من الآلام وعانوا ماعانوا فتقول :

العَيْشُ فِي الْقُرَافِ وَالنَّارِ طَفَاهَا السَّيْلُ
وَأَتَعَشُوا أَلْ قُؤَا وَرَقَدُوا الضُّعَافُ بِالْمَيْلِ
قَامُوا لِي الْعَبِيدُ جَابُوا الْعُمَارَ بِالْكَيْلِ
مِنْ جُمَاماً فِي مَخَارِيقِ الْعُقُولِ هَادِيلِ

شرح المفردات :

- (١) العيش : تقصد الذرة.
- (٢) القراف : كيس من الجلد تحفظ بداخله الحبوب حتى لا يصيبها البلل.
- (٣) العمار : مفردها عمره وهو إناء يستخدم في حلب الابل.
- (٤) جمام : هي الحفرة التي يوجد بها الماء على عمق قصير.
- (٥) مخاريق : الموضع ما بين رجل الناقة الخلفية.
- (٦) العقول : تعنى بها الابل الراقدة على الأرض والمعقولة بالعقال.

تقول شغبه لقد كان المطر غزيراً جداً ولم يكن هناك مكان جاف وفي مثل هذا اليوم المطير لا يستطيع انسان أن يصنع طعاماً، وكل الضعفاء ينامون وهم جوعاً، أما الأقوياء الذين لديهم إبل فانهم هم الذين ينامون وبطنهم مليئة بالطعام.

وتحدث عن نفسها فتقول انها تملك عبيدا قاموا في أثناء تلك الأمطار وأحضروا لها لبناً كثيراً وقد تدفقت مواعينهم من تلك النياق التي لا يجف ولا ينضب ضرعها. وتشبه ضرع الناقة بحفرة الجمام تلك الحفرة التي تعطى مياهها وفيرة بالرغم من انها تحفر على عمق قليل.

وتصف شغبه ليلة من ليالى الخريف وقد اخضرت الأرض وكساها العشب والنماء فتقول :

الَّيْلَةَ عَلَى الْقَبْلَةِ بَدَأَ الْبَحَاتِ
وَالْحَمَّ كَجَرَنَ بَيْتَنَ مِنَ النُّقَاطِ
خَالَفَ التَّرْوَا الْمَاصِعَ جَرَنَ قَاتَاتِ
كَأَكَا أَرَكُضَتْ وَاتَفَالَتْ النُّطَاطِ
وَبَارُوكَ الْقَوَايِمَ فِي الْمَوَاهِلِ غَاطِ

شرح المفردات :

- (١) البحات : البرق الذي يلمع في الشمال الشرقي.
- (٢) الحم : الفتيات.
- (٣) خالف التر : الناقة التي مر حول على ولادتها فتجري وراء الذكر.
- (٤) كاكأ : الحبارة.
- (٥) أركضت : جلست على بيضها.
- (٦) اتفالت النطاط : بدأ السحاب يظهر واحدة تلو الأخرى.
- (٧) باروك القوايم : ضعيفة القوائم التي لا تستطيع الوقوف عليها وتعنى بها الضفادع.
- (٨) المواهل : أمكنة تجمع المياه «الحفائر» مفردها حفير.
- (٩) عاط : صاح.

تقول شغبه لقد بدأ البرق يظهر من جهة القبلة «القبلى» وبدأت النساء يغطين مداخل بيوتهن خوفا من تلك الأمطار التي سوف تأتى لا محالة وجرت النياق وراء الذكور منها. كما جلست الحبارة على بيضها تغطيه وبدأت السحب تظهر في الفضاء الواحدة تلو الأخرى في مناظر جذابة، وبدأت الضفادع تصيح فرحة مستبشرة بالخريف الوفير ولقد أبدعت شغبه أيما إبداع في وصف الطبيعة ورسمت لوحاتها ووشتها بأبداع ماقيل من ألفاظ شعبية.

ومدحت شغبه قومها كثيرا وافتخرت بهم كثيرا أيضا :

أَوَّلُ فِي زَمَانِ اللَّحْرَابِ
نَقْعُدُ فِي ضَرْيِ دَرَقِ الْجَنَّا التِّيَابِ
أَوْلَادُ أُمَاتِ قَنَاعاً مَانِطَرْنَ عِيَابِ
بِى زَرَقِ الْحَسَادَةِ بِكَمِلُوا الشِّيَابِ

شرح المفردات :

- (١) في زمان الحراب : زمن الحرب والضرِب.
- (٢) في ضرى : في حمى «في ذرى».
- (٣) الجنّا : الشبان من فرسان قومها.
- (٤) التياب : الذين تعاهدوا على عدم الهروب في ساعة المعركة.
- (٥) أمات قناع : غير مكشوفات الرؤوس والوجوه.
- (٦) ما انظرن عياب : لم يذكرهن أحد بعيب.

تذكر شغبه ماضيها وزمن المارك وتقول انها ونساء قبيلتها عندما يهاجم الاعداء القبيلة لا يخشين بأس هؤلاء الأعداء لأن فرسان قبيلتها الشبان الشجعان تعاهدوا على عدم الهروب في المارك لأنهم أولاد نساء عفيفات لا يعرفن العيب فهن مصونات .
وهى تقول أيضا :

أَوَّلُ فِي زَمَانِ الْحَرْبِ
نَقَعْدُ فِي ضَرَاهُنْ مَا يَنْخَافُ السَّلْبِ
أَوْلَادُ أُمَاتٍ قُنَاعاً مَا يَنْبِجُ كَلْبِ
بِدَعَكُوا عَلَى الْحَرْبِهِ التَّرِيعِ الْقَلْبِ

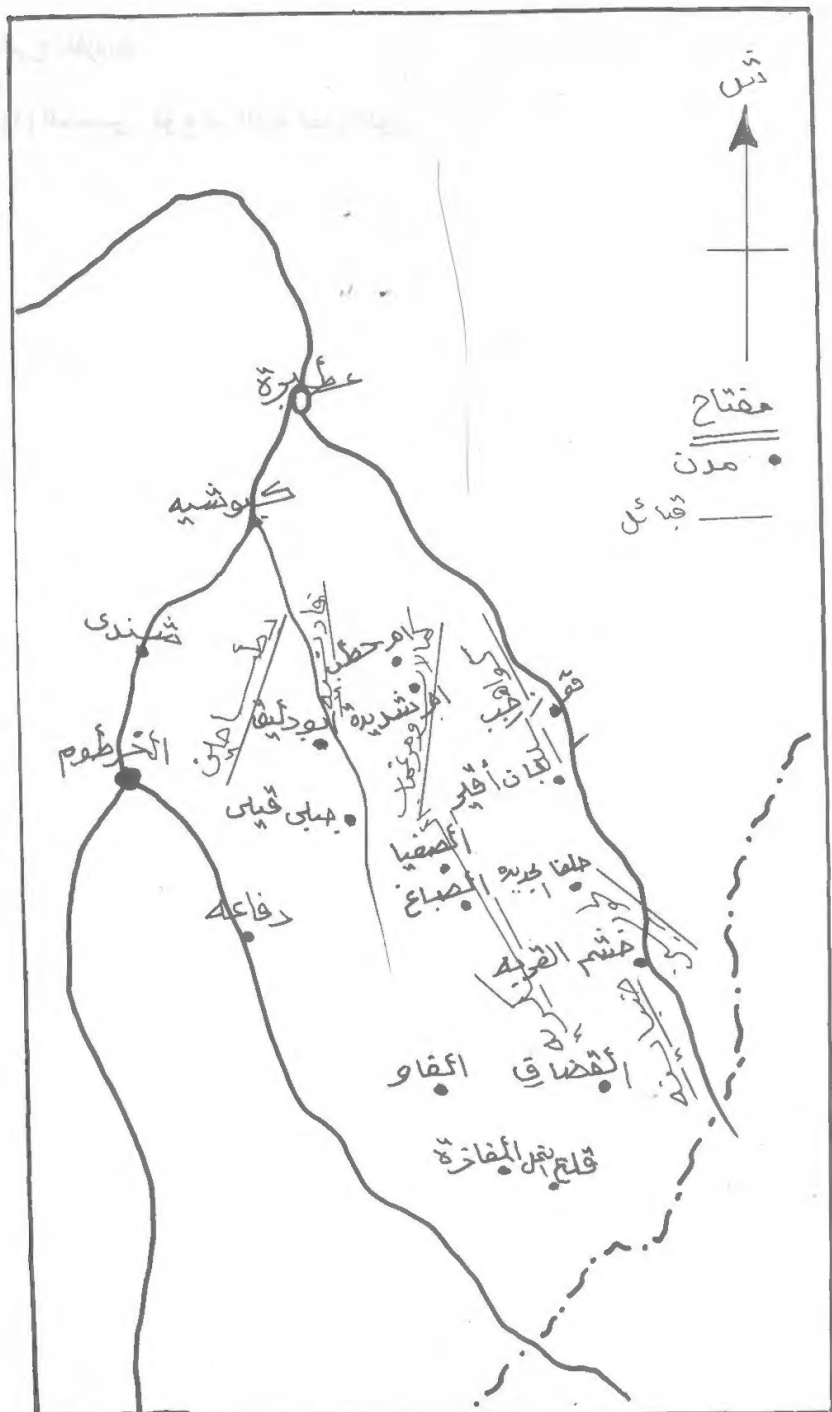
شرح المفردات :

- (١) بدعكوا : يتسابقون على المعركة.

تقول اننا في أيام المارك لا نخاف أن يسلبنا أحد لأن فرساننا الأقوياء هم حماتنا . وتقول انها ونساء قبيلتها مقنعات محجبات ليس في أخلاقهن شك ، لا يحوم الغرياء حول منازلهن ولذا لا تسمع صوتا للكلاب تطارد غريبا ، وهن أمهات فرسان لا يخافون الحراب مهما كان الموقف مريعا للقلوب .

وتقول في ذات المعنى :

وَكِتَا تَجِينَا اللَّحْرَابِ
بَنَكِيلِ الْحَمِيسَى وَنَنْفُضُ الْبُتَّابِ
بِى زَرْقِ الْحَسَادِ بِنَكْمَلِ الشِّيَابِ
وَنَرْقُدُ فِي ضَرَى دَرْقِ الْجِنَا التِّيَابِ



خريطه توضح المدن والمواقع الهامه وبقيت على يسره البطانه

الفهرست

| الصفحة | الباب: |
|--------|-------------|
| ٣ | تمهيد |
| ٥ | تقديم |
| ١٠ | مدخل |
| ٢٦ | وصف الطبيعة |
| ٣٦ | الابل |
| ٤٨ | الهمبته |
| ٦٨ | شغبه |

